مجلة جامعة الملك سعود، م ٦، العمارة والتخطيط، ص ص٤٩-٩٨ بالعربية؛ الرياض (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)

نوعية الحياة في المدن الصغيرة:
دراسة حالة مدينة ضرما في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية

محمد بن عبدالعزيز القباني

أستاذ مشارك، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

(قُدم للنشر في ٩/١٠/١٤١٢هـ وقُبل للنشر في ٢٣/١٢/١٤١٢هـ)

ملخص البحث. الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تقويم نوعية الحياة أو ظروف العيش في مدينة ضرما، إحدى المدن الصغيرة في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية. ولتحقيق هدف الدراسة فقد تم استخدام متغيرات موضوعية كالدخل والتعليم والعمل وخصائص المسكن والخدمات والمرافق العامة؛ ومتغيرات ذاتية كالرضا السكني ونوايا الهجرة، وقد جمعت بيانات هذه الدراسة خلال عمل ميداني حصلت خلاله على معلومات عن ٨٧ أسرة من سكان المدينة. والنتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة أظهرت تحسنًا ملحوظًا في نوعية الحياة في المدينة خلال السنوات القليلة الماضية، ووجود شعور بالارتياح والرضا العام من قبل أغلبية السكان هنا، وهذا سيدعم مقومات جذب المدينة وسيعزز من نموها مستقبلاً. مثل هذا النوع من الدراسات يؤمل أن يساعد صانعي القرار بالتعرف على أوضاع واحتياجات السكان في مختلف الأماكن الأخرى في المملكة برسم السياسات المناسبة التي تقلص من التفاوت بينها وتحقق الاستقرار والنماء لسكانها.

مقدمة

اتصف نمط حركة السكان أو الهجرة في المملكة العربية السعودية - خلال الفترة بين ١٣٨٠-١٣٩٥هـ - باتجاهها من المناطق الريفية والمدن الصغيرة نحو المدن الرئيسية [١، ص ٤٤٠] استمرت حركة السكان على هذا المنوال حتى منتصف التسعينيات الهجرية تقريبًا. ونتيجة لهذه العملية فقدت هذه الأماكن جزءًا كبيراً من سكانها (جدول ١). وأخذت معدلات الهجرة من بعض الأماكن، خلال عشر السنوات الماضية، في التراجع النسبي. فمثلاً حدث في بعض المدن الصغيرة في المملكة نموًا وتغيراً ملحوظًا شمل تقريبًا كل جوانب

الحياة فيها[١]، وهذا أضعف نسبيًّا ـ من معدلات تناقص سكان هذه الأماكن، على نقيض ما كان عليه الحال في سنوات سابقة من تضاؤل سكانها وتدهور في أحوالها. نتيجة لذلك حدث تغيير في حركة السكان تمثل في عودة بعض المهاجرين إلى مواطنهم الأصلية، وانخفاض معدلات الهجرة من المدن الصغيرة واستقرار سكان آخرين بها [٢، ص١٥٤]. ولكن لا يزال جذب وإغراءات المدن الكبرى والمراكز الحضرية في المملكة قويًّا في الوقت الراهن مما يضعف من نمو المدن الصغيرة والمناطق الريفية [٣، ص٣٥].

جدول ١. التغير في توزيع السكان في المملكة ١٣١٠-١٤٢٠هـ (بالنسبة المئوية).

توزيع السكان	١٣٩٠هـ	١٣٩٥هـ	١٤٠٥هـ	١٤١٠هـ	١٤٢٠هـ
ـ نسبة الذين يعيشون في مدن سكانها أكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة	٢٠	٤٠	٤٧	٥٤	٥٩
ـ نسبة الذين يعيشون في مدن متوسطة وصغيرة	٢٠	١٥	١٣	١٣	١٢
ـ نسبة الذين يعيشون في الريف	٦٠	٤٥	٤٠	٣٣	٢٩

المصدر: [٤، ص٥٦؛ ٥، ص٥٤].

وقد شمل هذا التغير الموجب في أوضاع المدن الصغيرة تقريبًا كل هذه المدن وإن كان أكثر وضوحًا في بعضها دون بعضها الآخر. وحظيت على سبيل المثال المدن الصغرى القريبة من المراكز الحضرية أو التي تقع على الطرق الرئيسة بنصيب أكبر، وذلك لارتفاع قدرتها على جذب الأنشطة الاقتصادية كخدمات الطرق والمسافرين العابرين وما تتطلبه مثل هذه الأنشطة من أيد عاملة، إضافة لإمكانات جذبها للسكان حتى للمقيمين في المدن الكبرى المجاورة[٢]. هذا التحول والتغير ما هو إلا نتيجة لما حدث من تحسن ملحوظ في هذه الأماكن بعد تنفيذ برامج خطط التنمية الخمسية الأولى (١٣٩٠-١٣٩٥هـ) والثانية

(١) المقصود بالمدن الصغيرة هنا في الأماكن التي يتراوح عدد سكانها بين ٥٠٠٠ إلى أقل من ٢٠٠٠٠ نسمة وتوجد بها خدمات بلدية.

(٢) أخذ معدل هجرة الريفيين وغيرهم نحو المدن الكبرى في الدول المتقدمة في التراجع أو البطء النسبي منذ سنوات عديدة وفي بعض الدول حصلت هجرة معاكسة أو تغير في اتجاهات الهجرة ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال نمت بعض الأماكن الصغيرة بسبب جذبها أو إغراءاتها للمتقاعدين أو لأغراض السياحة والترفيه أو بسبب انتقال بعض الصناعات إليها من المدن الكبرى لتستفيد من الفروق النسبية في التكاليف الجارية والثابتة Fixed and running costs.

(١٣٩٥-١٤٠٠هـ)، والثالثة (١٤٠٠-١٤٠٥هـ)، الرابعة (١٤٠٥-١٤١٠هـ)، والخامسة (١٤١٠-١٤١٥هـ) والتي شُرع فيها منذ ١٣٩٠هـ، فأخذت الدولة بعد أن توافرت لديها موارد مالية ضخمة من الصادرات النفطية، تولي تطوير المدن الصغيرة وتنميتها اهتمامًا كبيراً بهدف تثبيت السكان في هذه الأماكن، ووقف اندفاعهم وتدفقهم المستمر نحو المدن الكبرى من ناحية، ولضمان تحقيق توزيع عادل وفعال للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية، وتشكيل نظام حضري وتوزيع سكاني متوازنٍ من الناحية الأخرى. ويتمثل ذلك في نمو متزايد لفرص العمل، وتحسن في أوضاع الخدمات وظروف الإسكان - المرتبطة بسياسة التحديث والتطوير المخطط لها - وغير جزئيًا من النظرة العامة لهذه الأماكن، وبالتالي من النمط العام السائد للهجرة في المملكة (جدول ١)، [٢، ص١٣٩].

ومن العوامل الأخرى التي أسهمت في إحداث تغيرات سريعة في المدن الصغيرة وفي غيرها من الأماكن الأخرى في المملكة تحسن مستويات الدخل والمعيشة، والتي تعكسها أحوال السكان في مجالات التعليم والصحة والإسكان، وفي امتلاك وسائل التقنية الحديثة واستخدامها على نطاق واسع في مجالات الحياة المختلفة كالنقل والاتصالات وفي الزراعة والصناعة والاستعمالات المنزلية وغيرها، فقد أحدثت كل هذه العوامل مجتمعة تحولاً وتغيراً في طبيعة الأعمال، ونمط العيش، والاستهلاك، والسكن، فمثلاً حصل تناقص في أعداد سكان هذه الأماكن العاملين في الأنشطة التقليدية كالزراعة، والحرف اليدوية، واتجهوا إلى أعمال أخرى بعضها لم يكن له وجود أو لم يكن معروفًا من قبل كالصناعة والخدمات الأمنية والتعليمية والصحية والتجارية والترفيهية ومرافق الماء والكهرباء والاتصالات وغيرها. وأيضًا انخفضت معدلات الأمية والوفيات واتسعت مساحة العمران بزيادة السكان، وزيادة أحجام الوحدات السكنية، وتغير نظام تخطيط الشوارع في المدن الصغيرة، وتعددت استعمالات الأرض والنشاطات فيها، والتي كانت مقصورة في الغالب على الاستخدامات السكنية والزراعية والإدارية، وتصل بينها ممرات أو طرق ضيقة ومتعرجة يكسوها الظل نهارًا وتلفها الظلمة ليلاً. فهي أساسًا مصممة لحركة الإنسان والدواب وتتناسب مع الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية السادئة آنذاك. فنجد اليوم شوارع وطرقات، مستقيمة وفسيحة Grid iron pattern مرصوفة ومضاءة، مصممة لحركة السيارات (الأشكال ١-٥)

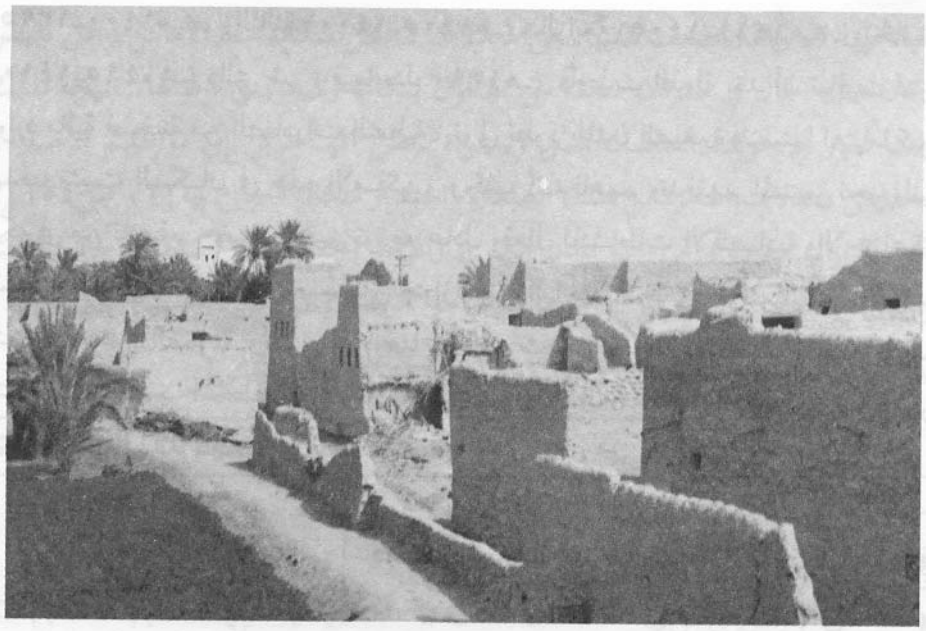

شكل ١ . المزارع وبساتين النخيل تتخلل الكتلة العمرانية القديمة .

شكل ٢ . أحد الشوارع الفسيحة في الأجزاء الحديثة .

شكل ٣ . منظر عام للبلدة القديمة وتظهر الأجزاء الحديثة في خلفية الصورة .

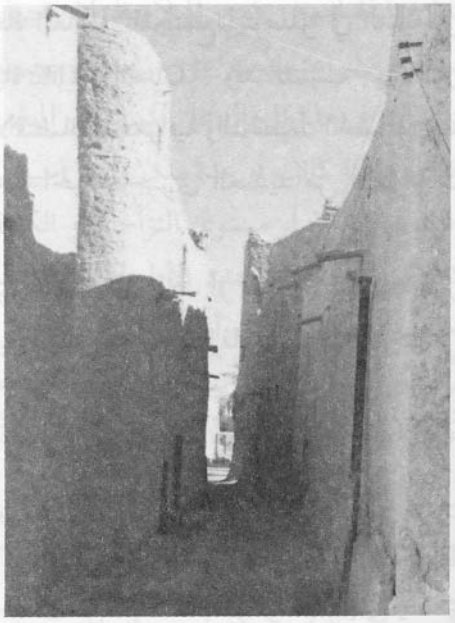

شكلا ٤ ، ٥ . الطرقات العامة في البلدة القديمة .

خاصة بالصناعة والتجارة والترفيه والمؤسسات والمرافق العامة وغيرها من النشاطات الأخرى.

عمومًا يمكن القول بأن النمو والتطور في المدن السعودية الصغيرة في السنوات القليلة الماضية قد أثر كثيرًا على نوعية الحياة Quality of life في هذه الأماكن. وعلى اعتبار أن هذا الموضوع لم يتطرق له إلا حديثًا سواء من قبل الجغرافيين أو غيرهم من ذوي العلاقة بهذا النوع من الدراسات، ونظرًا للاهتمام الكبير الذي يحظى به في العديد من دول العالم في الوقت الحاضر(٣) وجد أنه من المناسب وكمدخل طبيعي لهذه الدراسة إعطاء القارىء نبذة عن موضوع نوعية الحياة: تعريفه، وأهدافه، وطرق قياسه، مع إشارة لبعض الدراسات التطبيقية في هذا المجال.

مفهوم نوعية الحياة

منذ منتصف الستينيات الميلادية تقريبًا والباحثون في عدد من التخصصات الاجتماعية غير مقتنعين باستخدام نصيب الفرد من الدخل القومي GNP كمقياس للرفاه الاجتماعي Social well-being. ولهذا فقد اهتمت الدراسات الحديثة في هذا المجال بالبحث عن مقاييس أفضل لمستوى العيش أو الرفاه العام في المجتمع ليتوصلوا في النهاية إلى مصطلح أو مفهوم أطلق عليه مسمى نوعية الحياة Quality of life. ، وقد انصبت جهود كثيرة من الباحثين والمختصين في علوم الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا والتخطيط الحضري منذ أوائل السبعينيات الميلادية، على مسألة نوعية الحياة فأجري العديد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال.(٤)

أثار التعريف الدقيق لنوعية الحياة واختيار أفضل المؤشرات أو المتغيرات لتمثيله كثيرًا من الجدل والنقاش بين المهتمين [٧]، فالكثير يعرفه على أنه يعني الرفاه أو الرخاء الاجتماعي

---

(٣) عين الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان في عام ١٩٧٤م الوزير أندريه جاروت وزيرًا لوزارة سميت بوزارة نوعية الحياة [٩ ص٢٥].

(٤) البحث عن المجتمع المثالي ليس بظاهرة جديدة فقد كتب فيه منذ زمن طويل، ومنها ما ورد في كتابات أفلاطون والفارابي ومن الجهود الحديثة نذكر هنا حركة المدن الجديدة التي قادها إبزنر هوارد (Ebzener Howard) ، فالهدف من هذه الجهود وغيرها هو البحث عن البيئة المثالية أو الوضع المعيشي والسكني الأفضل للإنسان.

Social well-being ، ويرى Liu [٨، ص ص٢٤٧-٢٤٩ ؛ ٩، ص١٠٧] أن نوعية الحياة QOL مسمى جديد لمفهوم قديم يتعلق بتقويم درجة أو مستوى الرفاه النفسي والمادي للسكان في البيئة التي يعيشون فيها، وهو نتاج لمدخلات عاملين: الأول أسماه العامل المادي Physical factor وتشتمل مدخلات هذا العامل على متغيرات كمية من سلع وخدمات، ودخل . . الخ والثاني أسماه العامل النفسي Psychological factor وتشتمل مدخلاته على كل المتغيرات الذاتية كالشعور بالانتماء والولاء، والاحترام، والحب، والرضا . . الخ . وورد في تعريف مماثل أن هناك معنيين لنوعية الحياة، أحدهما شخصي، داخلي وذاتي Subjective ، والآخر بيئي، خارجي وموضوعي Objective. ويعبر أو يعكس مفهوم نوعية الحياة بصفة عامة عن حالة البيئة الطبيعية والبشرية التي يمارس فيها السكان نشاطاتهم المختلفة بغية إشباع احتياجاتهم [١٠، ص٧]، فهو يشتمل على مجموعة من العوامل أو المتغيرات والتي تركز بصورة أساسية على جانب الرفاه الاجتماعي Social well being لجميع السكان في منطقة أو رقعة جغرافية (في مدينة أو إقليم أو دولة).

المشكلة لا تكمن في تعريف مفهوم نوعية الحياة وإنما في تحديد أفضل المؤشرات أو اختيارها لقياسه. فمن الملاحظ أن معظم دراسات نوعية الحياة الخاصة بالأماكن والمجتمعات اعتمدت على مؤشرات موضوعية Objective indicators. ولهذا كان تركيز الدراسات في هذا المجال على المسائل أو الموضوعات المتعلقة بالجوانب المادية في حياة سكان المكان ـ مدينة كانت أو عدة مدن ـ (على سبيل المثال متوسط الدخل، ونوعية الإسكان وعدد الأفراد في الغرفة أو مستوى التزاحم أو الكثافة، مرافق السكن من ماء وكهرباء وهاتف، معدلات البطالة، عدد الأطباء وأسرة المستشفيات لكل ١٠٠٠ شخص، المؤهلات التعليمية للسكان نسب أو معدلات التلوث . . . الخ) (جدول ٢)، ومقارنة ذلك بأماكن أخرى أو للمكان نفسه ببيانات مماثلة ولكن عن فترة زمنية أخرى. بمعنى آخر أن مقياس نوعية الحياة في هذه الحالة شبيه إلى حد ما بمقياس الناتج القومي GNP ، والذي طور من قبل الاقتصاديين كمعيار لتمثيل درجة الرفاه أو التطور الاقتصادي للدولة، وذلك بقياس قيم السلع والخدمات المنتجة في سنة أو تقديرها، ودرجة مساهمة كل قطاع ونشاط في اقتصاد الدولة أو نصيبه. ويتضمن ذلك بعض المظاهر الحياتية التي ليس بالضرورة أن تكون جميعها متغيرات اقتصادية. ولكن نوعية الحياة مفهوم يركز كما سنرى بصورة رئيسة على الجوانب

جدول ٢ . بعض المتغيرات المختارة المستخدمة لقياس نوعية الحياة أو تحديدها .

١ ـ وفيات الأطفال لكل ١٠٠٠ من السكان ـ .
٢ ـ الوفيات العامة لكل ١٠٠٠ من السكان ـ .
٣ ـ أمد الحياة (العمر المرتقب) + .
٤ ـ الأمية للأشخاص فوق ٦ سنوات لكل ١٠٠٠ نسمة ـ .
٥ ـ متوسط عدد السنوات الدراسية لكل الأشخاص الذين أعمارهم ٢٥ سنة فأكثر . + .
٦ ـ نسبة الملتحقين بالمدارس التي تتراوح أعمارهم ما بين ٣ـ٣٤ سنة . + .
٧ ـ نسبة الأشخاص الذين أعمارهم ٢٥ سنة فأكثر وأكملوا دراستهم الجامعية + .
٨ ـ متوسط عدد الطلاب لكل مدرس ـ .
٩ ـ متوسط دخل الأسرة + .
١٠ـ نوعية التغذية (السعرات الحرارية) + .
١١ـ معدلات البطالة ـ .
١٢ـ عدد أطباء الأسنان لكل ١٠٠٠ شخص + .
١٣ـ عدد أسرة المستشفيات لكل ١٠٠٠ شخص + .
١٤ـ عدد الأطباء لكل ١٠٠٠ شخص + .
١٥ـ نسبة المساكن المأهولة المتوافر بها خدمات ماء وصرف + .
١٦ـ نسبة المساكن التي يزيد عدد الأشخاص فيها على شخص واحد في الغرفة الواحدة ـ .
١٧ـ نسبة المساكن التي يتوافر فيها أجهزة راديو وتلفاز، تكييف، أجهزة الطبخ الكهربائية + .
١٨ـ عدد الهواتف لكل ١٠٠ شخص + .
١٩ـ عدد الجرائم المرتكبة لكل ١٠٠٠ من السكان ـ .
٢٠ـ وفيات الحوادث (السيارات، الحرائق . . الخ) لكل ١٠٠٠ نسمة ـ .
٢١ـ معدلات الزواج + والطلاق ـ .
٢٢ـ نسبة الملوثات (هوائي، صوتي، مائي، المخلفات الصلبة . .) ـ .
٢٣ـ مساحة الأماكن الترفيهية لكل ١٠٠٠ من السكان + . .
٢٤ـ عدد المسابح والملاعب وأماكن النزهة والتخييم لكل ١٠٠٠٠ من السكان + . .
٢٥ـ توزيع الصحف لكل ١٠٠٠ من السكان + .
٢٦ـ عدد المكتبات العامة لكل ١٠٠٠٠٠ شخص + .

+ تعني قيمًا إيجابية في حالة ارتفاع هذه المعدلات أو النسب.
ـ تعني قيمًا سلبية في حالة ارتفاع هذه المعدلات أو النسب.
المصدر: [١٠، ص ص١١٠ـ١٣٥؛ ١٦، ص ص٥٧ـ٧٧؛ ١٧، ص ص٣٩ـ٤١].

الاجتماعية كالصحة، والإسكان، والتعليم. والسؤال الذي نطرحه هنا هو: هل تحديد مستوى نوعية الحياة يعتمد فقط على مؤشرات (متغيرات) موضوعية أم من الأفضل استخدام مؤشرات (متغيرات) ذاتية أو شخصية كالرضا عن المسكن أو تقويم العلاقات الاجتماعية بين سكان المكان [١١، ص٢٣].

من وجهة نظر الباحث فإنه من الأفضل الجمع بين المؤشرات أو المتغيرات الموضوعية والشخصية أو الذاتية (جدول ٢)، وقد أخذ بالفعل بعض المهتمين في هذا المجال بدراسة نوعية الحياة باستخدام المقاييس الذاتية الشخصية لنوعية الحياة، حتى إن بعضهم يرى قياس نوعية الحياة بالاعتماد فقط على المؤشرات الشخصية أو الذتية [١١، ص١٦]. وفي الواقع فإن استعمال المؤشرات الموضوعية أو الذاتية كل على حدة يميل إلى أن يعطى نتائج غير كافية، فالأولى تعتمد متغيرات كمية لنوعية الحياة التي لا يمكن أن تحدد حالتها من خلال مقياس كمي فقط، والأخرى تشتمل على متغيرات معنوية أو نفسية إن جاز التعبير، فلابد ـ إذًا ـ من الجمع بين الأسلوبين، خاصة وأن تقويم نوعية الحياة في المكان يعتمد على عوامل ومتغيرات مادية محسوسة وملموسة وكذلك على متغيرات غير مادية أو غير منظورة تعبر عن وجهة نظر السكان أنفسهم وانطباعاتهم حيال الوضع المعيشي القائم. ومن خلال الجمع بين هذين الأسلوبين يمكن وبصورة أفضل تحديد أو معرفة مستوى جودة أو نوعية الحياة في المكان.(٥)

وبدون أدنى شك فإن نتائج الأبحاث والدراسات التي توصل إليها في مجال نوعية الحياة تخدم المهتمين بأمور تنمية المستوطنات وتطويرها من ساسة ومخططين بمساعدتهم على التعرف على التباين المكاني المحلي (مدن) أو الإقليمي، وفي تنفيذ البرامج التنموية الاقتصادية منها والاجتماعية. فمثلاً بمقارنة مؤشرات نوعية الحياة لعدة أماكن أو للمكان نفسه خلال فترات زمنية متباعدة سيتبين إلى أي مدى حصل تحسن أو تراجع وتضاؤل للمؤشرات في هذا المكان أو ذاك بالنسبة لمتغير معين أو عدة متغيرات كمعدلات البطالة والجريمة والتلوث مثلاً أو في تحديد درجات التباين أو الفروق المكانية المحلية منها أو الإقليمية داخل الدولة. ومن الدراسات التي عملت في هذا المجال ما قام به Smith [٧] في

(٥) رغم مضي زمن ليس بالقصير على ظهور الدراسات الأولى في هذا المجال، إلا أنه لم يتفق بعد على تحديد أفضل المؤشرات أو المتغيرات لقياس نوعية الحياة.

دراسته المقارنة لـ ٤٨ ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام ٤٧ متغيراً، وعلى أساس النتائج التي حصل عليها استطاع ترتيب الولايات وتصنيفها إلى أربع مجموعات وفق معيار الرفاه الاجتماعي الذي توصل إليه. قام Liu [٩] بدراسة لنوعية الحياة في ٢٤٣ مدينة كبيرة Metropolitan area في الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام ١٢٠ متغيراً، وبناءً على نتائج التحليل قوم نوعية الحياة في هذه الأماكن وصنفها إلى مستويات: ممتازة، جيدة، مقبولة، أو سيئة، كما أجريت دراسات أخرى مماثلة في كل من فرنسا ولكن على مستوى الأقاليم باستخدام ٤٨ متغيراً [١٢، ص ص٦٧-٦٩]، وفي بريطانيا أجرى Knox [١٣] دراسة مماثلة مستخدمًا ٢٩ متغيراً تمثل مستويات العيش في كل من انجلترا وويلز، وفي كلتا الدراستين - عن فرنسا وبريطانيا - استطاع الباحثون التوصل إلى نتائج أظهرت الفروق الإقليمية في نوعية الحياة، وتم على ضوء النتائج تقسيم الأقاليم وترتيبها إلى خمس أو ست فئات أو مستويات مختلفة، وقام Park [١٤] بدراسة لنوعية الحياة في مقاطعات Counties ولاية إلينوي في الولايات المتحدة الأمريكية مستخدمًا ٢٧ متغيراً وزعها على ست مجموعات Components تشمل: الصحة، والواقع الاجتماعي، والإسكان، والتعليم، والأمن العام، والدخل، أما Bederman [١٥] فقد قصر دراسته على مدينة أتلنتا في ولاية جورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية مستخدمًا ١١ متغيراً وزعها على أربعة عوامل Factors هي: الصحة، والأمن، والإسكان، والخصائص الاقتصادية والاجتماعية.

منطقة الدراسة

اختير لهذه الدراسة مدينة ضرما إحدى المدن الصغيرة في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية، بسبب سرعة التحولات والتغيرات التي شهدتها هذه المدينة خلال السنوات القليلة الماضية، وشملت تقريباً كل أوجه الحياة فيها. تقع ضرما على خط عرض ٢٤,٣٦° شمالاً، وخط طول ٤٦,٨° شرقًا إلى الغرب من مدينة الرياض على مسافة نحو ٧٠ كم على الطريق الإقليمي الذي يربط بين المناطق الثلاث الشرقية والوسطى والغربية(٦)

(٦) تحولت معظم الحركة المرورية العابرة نحو الطريق الجديد الذي أنشىء حديثًا ويسير باتجاه الغرب على بعد نحو ٢٥كم إلى الشرق من مدينة ضرما، وهذا أضعف كثيراً من شأن النشاطات الاقتصادية المرتبطة بخدمة المسافرين والعابرين في المدينة.

في الجزء الرسوبي من هضبة نجد في منخفض أو سهل ضرما (البطين) على ارتفاع حوالي ٥٠٠م عن مستوى سطح البحر (شكل ٦). يتصف المناخ في مدينة ضرما وبحكم موقعها الداخلي بالقارية حيث التباين الكبير في درجات الحرارة اليومية والفصلية فهي تتراوح بين ٢°م في فصل الشتاء و٤٦ درجة مئوية في فصل الصيف، وبندرة الأمطار وعدم الانتظام في كمياتها ومواعيد سقوطها فالمتوسط السنوي للأمطار فيها يقل عن ٩٠مم [١٨].

تعد ضرما جزءًا من منطقة الرياض الإدارية، ويتبعها عدد من القرى الصغيرة المرتبطة بها وظيفيًا هي: قصور آل مقبل، جو، الغزيز، السيباني والعليا. تاريخ البلدة موغل في القدم فهو يعود على الأقل لفترة ما قبل الإسلام، فقد ورد ذكرها في الشعر الجاهلي كشعر الأعشى وجرير والسليك بن السلكة، وقد ظلت ضرما ولفترة طويلة من الزمن قرية مسورة صغيرة في مساحتها وسكانها. يعتمد سكانها بصورة رئيسية على النشاط الزراعي وما يرتبط به من أعمال، فقد اشتهرت ومنذ القدم بوفرة الماء والمرعى وبكثرة مزارعها وبساتين النخيل فيها، وكان السكان وحتى وقت قريب يمارسون أيضًا حرفًا أخرى لسد احتياجاتهم الأساسية كالبناء والنجارة والحدادة وعمل بعض الأدوات السعفية والجلدية وغيرها، وعانى سكان ضرما كثيرًا من ظروف الجفاف المتعاقبة وتعرضت البلدة نتيجة لذلك وبسبب قلة فرص التعليم والعمل والدخل وانتشار البطالة إلى هجرة عدد كبير من أبنائها إلى أماكن أخرى في المملكة وبالذات إلى مدينة الرياض [١٨]، ثم نمت المدينة سكانيًا وعمرانيًا خلال فترة زمنية قصيرة بعد فترة تدهور واضمحلال دامت عدة سنوات، وبالتحديد بعد ١٣٩٥هـ، بعد أن انتعشت اقتصاديًا وتوافر بها مرافق وخدمات جديدة، فتعددت وتنوعت استعمالات الأرض بها وأصبحت الطرق واسعة ومستقيمة تتبع النظام الشبكي أو المتعامد بتأثير التخطيط العمراني الحديث (الأشكال ٧ـ٩) خاصة بعد أن أنشأت بها بلدية (عام ١٣٩٣هـ)[٧] وتحولها بموجب ذلك من قائمة القرى إلى قائمة المدن في المملكة.

(٧) تقوم البلدية بخدمات التطوير العمراني والمحافظة على النظافة وصحة البيئة والإشراف على محلات البيع كالبقالات والمطاعم والأغذية وفسوحات المباني وتخطيط الشوارع وتشجيرها ورصفها وإنارتها وعمل الحدائق وتنسيقها.

صاحب التغيرات الحديثة زيادة في معدلات الانفاق والاستهلاك وارتفاع ملحوظ في أجور المساكن وأقيامها كما هو الحال في غيرها من مدن المملكة الأخرى.

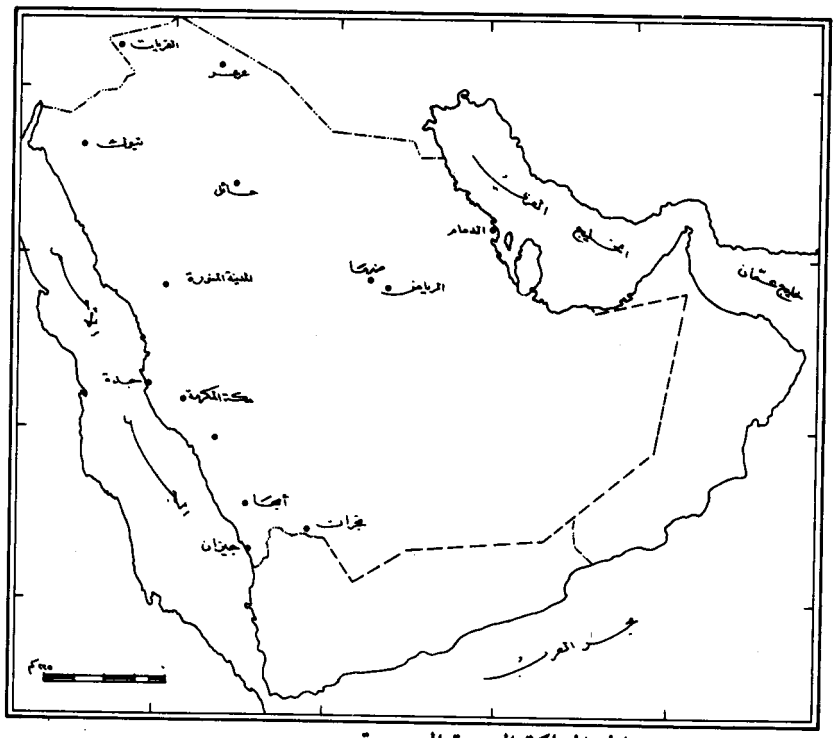

المصدر وزارة البترول والثروة المعدنية، ١٩٨٠

شكل ٦. موقع ضرما في المملكة العربية السعودية.

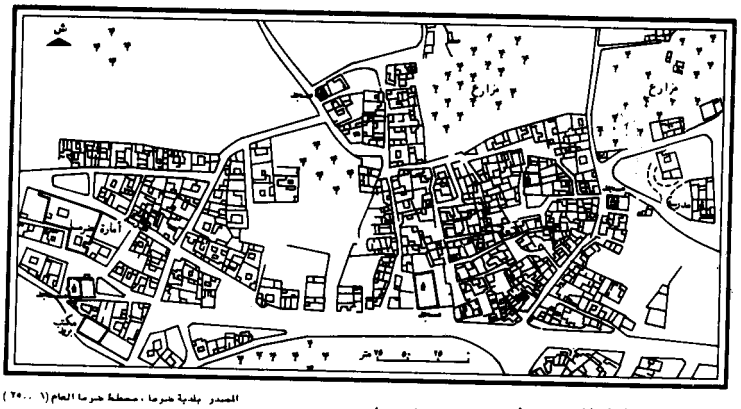

المصدر بلدية ضرما، مخطط ضرما العام (١٤٠٠ هـ)

شكل ٧. مخطط للجزء القديم من ضرما.

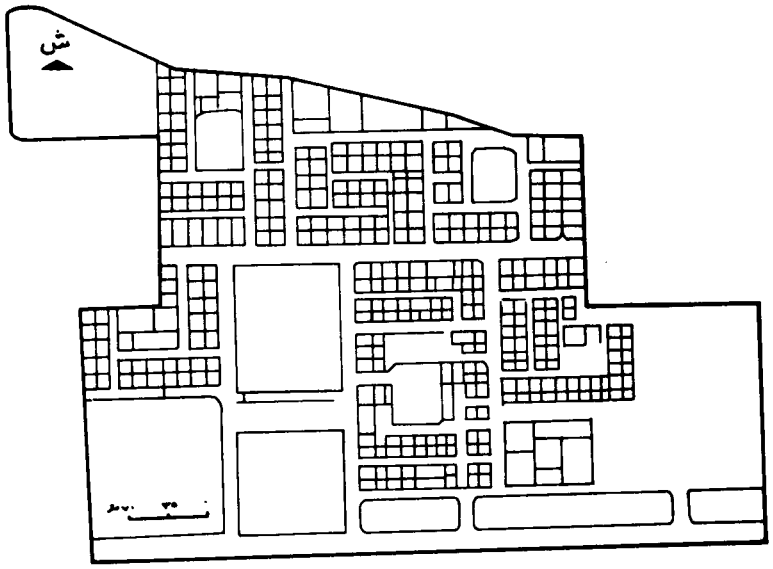

المصدر: بلدية ضرما، مخطط ضرما العام (١٤٠٠هـ)

شكل ٨. مخطط لأحد الأحياء الحديثة في ضرما.

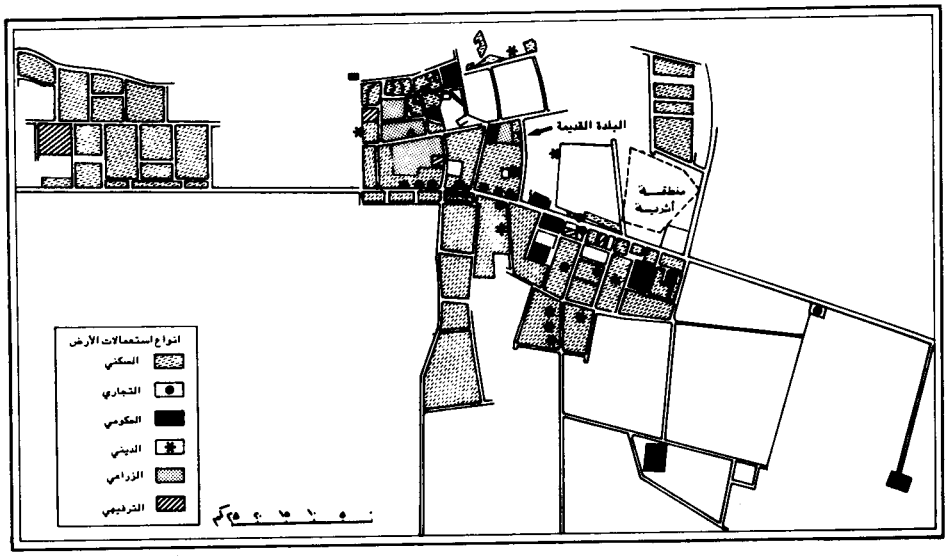

المصدر: أطلس المدن السعودية

شكل ٩. مخطط عام للمدينة واستعمالات الأرض فيها.

ولاشك أن لموقع ضرما على طريق إقليمي، قرب العاصمة الرياض وسهولة الاتصال بها، إضافة إلى غناها بالموارد الزراعية من مياه جوفية وتربة طمييية، دورًا بارزًا في سرعة نموها وتطورها.

الهدف من الدراسة

رغم سرعة التحولات والتغيرات في المدن السعودية الصغيرة إلا أنها لم تنل بعد نصيبها من الاهتمام الذي تستحقه من قبل الباحثين والمختصين الذين انصب جل اهتمامهم على دراسة ومعالجة آثار التغير السريع والكبير الذي حدث في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية في المدن الكبيرة أو المراكز الحضرية. ونتيجة لنمو السكان والأعمال فيها بالمقارنة بالأماكن الأخرى[٨]. ، فقد اتجه إلى هذه الأماكن بسبب قوة جذبها الآلاف من الباحثين عن فرص العمل وعن سبل تحسين مستويات الدخل والمعيشة سواء من الريفيين أو من غيرهم من سكان المدن المتوسطة والصغيرة في المملكة. إن حركة وتركز السكان هذه ليست خاصة بالمملكة وحدها وإنما هي ظاهرة عالمية تعاني من سلبياتها كثير من دول العالم وبالذات النامية منها. وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام كبير، خاصة من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية الذين أشبعوا هذا الموضوع بحثًا وتمحيصًا في تناولهم لقوانين الهجرة وصياغة النماذج الخاصة بها ودراسة خصائص المهاجرين والمشكلات الناجمة عن هجرة السكان وأثرها على مكاني المصدر والوجهة كمشكلات الإسكان والنقل والضغط على المرافق والخدمات في المدن، وتراجع العمل والإنتاج الزراعي في الريف. . الخ، وسعوا إلى اقتراح حلول لهذه المشكلات [١٩].

في هذه المقالة نحلل الأوضاع والظروف المعيشية ونعرض لانطباعات السكان ودرجة ارتياحهم في مدينة ضرما في محاولة لمعرفة أو الكشف عن نوعية الحياة في هذه المدينة. وتهدف الدراسة على وجه التحديد إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

---

(٨) على حد علم الباحث لا توجد دراسات متخصصة عن هذه المدن عدا التقارير التي أعدتها بعض الجهات الحكومية، وبالأخص وزارة الشؤون البلدية والقروية لكونها الجهة الرئيسة المسؤولة عن تخطيط وتطوير الأماكن العمرانية في المملكة.

١ ـ ما هي خصـائص سكان ضرما الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية؟ وهل يختلفون عن سكان المدن الكبرى وفي أي النواحي؟

٢ ـ من أين يأتي المهاجرون (أو الحديثو السكني) إلى مدينة ضرما؟

٣ ـ كيف يقوم السكان أوضاع مساكنهم والمرافق والخدمات العامة في المدينة؟

٤ ـ ما مدى رضا وارتياح السكان في ضرما؟

٥ ـ ما هي تطلعات السكان وتوقعاتهم بالنسبة لمستقبل المدينة؟

٦ ـ وماذا عن نوايا الهجرة ومخططات سكان ضرما المستقبلية؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها ترمي التعرف إلى أي مدى حققت سياسة تنمية وتطوير الأماكن الصغيرة في المملكة أهدافها المرجوة، فمقدرتنا على معرفة مقدار ما أنجز والتخطيط للمستقبل يعتمد على تقويم ومقارنة الوضع الراهن للمكان بالوضع الذي كان عليه ذلك المكان في الماضي. كما أن عملية المراقبة والمتابعة الدقيقة والمستمرة لعملية التغير الحاصلة في بيئة المستوطنات الصغيرة أصبحت ضرورية لفهم واقع هذه الأماكن والتخطيط لمستقبلها، بل إنها متطلب مسبق قبل وضع السياسات وتنفيذ البرامج التنموية وكذلك بعد تنفيذها، خاصة وأن التنمية تقود إلى التغير الذي يعتبر عملية ديناميكية يجب تقويم نتائجها وآثـارها إذا أردنا أن نصنع قرارات واقعية مناسبة لمتطلبات التنمية في المكان المراد تنميته وتـطويره، فعملية التنمية في أي دولـة تسعى دومًا إلى الرفع من رفاهية الإنسان وتحسين مستوى معيشته في أي جزء من تلك الدولة سواء للذي يعيش في قرية أو في مدينة صغيرة أو كبيرة، وذلك بتحديد احتياجاته والعمل على توفيرها. مثل هذه الاعتبارات دفعت إلى البحث في موضوع نوعية الحياة في إحدى المدن الصغيرة في المملكة على اعتبار أنها تعطى تصورًا واضحًا عن واقع الحياة فيها، وتزيد من فهمنا وتفهمنا لعدد من الجوانب أو الأمور لهذه المجتمعات والأماكن، خاصة وأنه في الوقت الراهن لا نعرف كيف يشعر سكان هذه الأماكن حيال التغير والنمو الحاصل في مجتمعاتهم.

منهج الدراسة

تعتمد بيانات المتغيرات المستخدمة في دراسة موضوع نوعية الحياة في مدينة ضرما في المقام الأول على عينة من سكان المدينة، فخلال النصف الثاني من عام ١٤١٠هـ تم توزيع استبانة وضعت لهذا الغرض على ١١٢ رب أسرة في المدينة من السكان السعوديين وغير السعوديين. وقد صممت صحيفة الاستبيان بحيث تجيب عن تساؤلات الدراسة وتحقق أهدافها. وقد تضمنت الاستبانة أسئلة خاصة بالمستجوبين من حيث مكان الولادة، مكان السكن السابق، العمر، التعليم، العمل، الدخل، حجم الأسرة، خصائص المسكن، وأسئلة تعكس مدى رضاهم وارتياحهم بالسكن في ضرما وعن نوايا الهجرة ووجهة نظرهم حيال بعض خصائص المدينة ومستقبلها. هذا وقد تم اختيار العينة اعتمادًا على أعداد المساكن التي حصل عليها الباحث من بلدية ضرما وجرى استخدامها كإطار للعينة، بعد الحصول على عدد المساكن، تم تقسيم المدينة (بموجب خريطة المدينة ذات المقياس ١ : ٢٥٠٠) إلى مجموعات سكنية Clusters اختير من بينها بطريقة عشوائية ١٠ مجموعات وتم استجواب أرباب الأسر أو من ينوب عنهم ممن أبدوا تجاوبًا في كل مجموعة من هذه المجموعات[٩]، وحصل في النهاية على ٨٧ استمارة[١٠]. تمثل العينة نحو (٩٪) من مجموع الأسر أو المساكن المأهولة في المدينة أثناء فترة إجراء المسح، وقد تم انجاز العمل خلال شهري ذي القعدة وذي الحجة من عام ١٤١٠هـ. كما تم أيضًا الحصول على بيانات أخرى خاصة بالمدينة وسكانها من بعض المؤسسات الحكومية الموجودة في المدينة، وكذلك من بعض المطبوعات والتقارير الحكومية.

سيتم تقويم التغيرات والتطورات والكشف عن نوعية الحياة في مدينة ضرما والإجابة عن تساؤلات الدراسة من خلال:

أولًا: تحليل ما توافر من بيانات خاصة بالمتغيرات الموضوعية Objective variables، وتشمل الخصائص السكانية والإسكانية ووضع الخدمات والمرافق العامة في المدينة، والتي تعد جميعها من أبرز عناصر أو مكونات مفهوم نوعية الحياة.

---

(٩) كانت نسبة التجاوب كبيرة، فحالات الرفض لم تتجاوز ٧٪.

(١٠) استبعدت ٢٥ استمارة للنقص الكبير في المعلومات المدونة والمطلوبة.

ثانيًا: تحليل بيانات المتغيرات الذاتية أو الشخصية Objective variables التي وفرتها صحيفة الاستبيان، والتي تعبر عن وجهة نظر السكان ـ أصحاب الشأن ـ وتشمل موضوع الرضا السكني Residential satisfaction والتقويم العام لنوعية الحياة في المدينة بناءً على إجابات المبحوثين، ثم دراسة نوايا الهجرة Migration intentions ومخططات السكان ـ عينة الدراسة ـ المستقبلية، والتي تعكس جميعها واقع حياة السكان في منطقة الدراسة.

وقد تم تحليل بيانات الدراسة واستخلاص النتائج باستخدام أسلوب التحليل الوصفي والكمي المباشر المعتمد على الأرقام والنسب المئوية، وكذلك التحليل الإحصائي باستخدام طريقتي كريمر Cramer's ومربع كاي Chi square لتحديد مستوى أو درجة العلاقة بين بعض متغيرات الدراسة باعتبار أنها متغيرات نوعية Categorical.

نوعية الحياة في مدينة ضرما

سنحاول في هذا الجزء من الدراسة الكشف عن نوعية الحياة في مدينة ضرما من خلال دراسة الخصائص السكانية والسكنية، والرضا السكني، ونوايا الهجرة لسكان المدينة، فلا يوجد أدنى شك في أن نوعية الحياة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحالة السكان ومستويات عيشهم وبعناصر البيئة السكنية كنوع المسكن، وحالته والتجهيزات المتوافرة به، وكذلك الاستقرار السكني والعلاقات بين الأسر أو مجتمع المجاورة (الحارة أو الحي) السكنية، ونظافة البيئة وتوافر الاحتياجات من فرص عمل ومرافق وخدمات.

أولاً: الخصائص السكانية

يعد تحليل الخصائص السكانية، ويشمل ذلك نموهم وخصائصهم الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية، من المؤشرات المهمة على وضع مستويات العيش والإمكانات المتاحة للسكان في إشباع أو الحصول على احتياجاتهم.

١ ـ نمو السكان

مرت مدينة ضرما كغيرها من الأماكن الصغيرة في المملكة بتجربة التناقص ثم النمو السكاني (جدول ٣)، وحسب تقديرات عام ١٤١٠هـ بلغ عدد سكان المدينة حوالي ٧٣٥٦

نسمة[١١]، وهذا الرقم دليل على التزايد السكاني السريع خلال السنوات القليلة الماضية، فوزارة الشؤون البلدية والقروية قدرت عدد سكان المدينة في عام ١٤٠٧هـ بنحو ٦٠٠٠ نسمة، بعد أن كان ٥٠٠٠ نسمة في عام ١٣٨٣هـ و٢٤١٤ في عام ١٣٩٤هـ ثم وصل إلى حوالي ٤٩٠٠ نسمة في عام ١٣٩٨هـ، وهذه الزيادة في السكان مرتبطة بعدد من العوامل، منها الزيادة الطبيعية، والتي تقدر بنحو (٣٪)[١٢] بسبب الانخفاض الملحوظ في معدلات الوفيات، وبالذات الأطفال الرضع، نتيجة التحصين ضد الأمراض وتحسن التغذية، وتوافر مياه الشرب النقية، وتحسن ظروف الإسكان وجميعها عملت على خفض معدلات الإصابة بالأمراض. كما تحققت الزيادة السكانية بسبب عامل الهجرة أيضًا بعد أن توافرت في المدينة فرص عمل جديدة بافتتاح مؤسسات حكومية (جدول ٤) وتحسن الخدمات الاجتماعية والمرافق العامة، وبالتالي إيجاد عوامل الراحة والاستقرار والجذب للسكان[١٣]، إضافة إلى زيادة وتنوع النشاطات الاقتصادية والتطور الزراعي[١٤]. فقد انعكس كل ذلك على الوضع العمراني في المدينة مما شجع بعض السكان، خاصة سكان القرى المحيطة، على أن ينتقلوا إلى ضرما ويقيموا فيها من أجل العمل أو السكن، كما أن تحسن مستويات الدخل زاد من القوة الشرائية ورفع معدلات الاستهلاك للسكان، وساعد بالتالي على نمو عدد من المؤسسات التجارية والخدمية والتي تفي باحتياجات السكان ومتطلبات عيشهم المتنامية، أو تلك المرتبطة بتطور قطاع الزراعة، كما نمت وتوسعت أيضًا المؤسسات ذات العلاقة بخدمات الطرق كورش الإصلاح ومحطات الخدمة والمطاعم والفنادق أو تلك المرتبطة بنمو وتوسع العمران والإسكان كمعامل صناعة بعض مواد البناء (الجدولان ٥، ٦). أسهمت هذه العوامل والمتغيرات جميعها في خلق فرص عمل جديدة في المدينة وفي زيادة سكانية وعمرانية وتنوع في النشاطات الاقتصادية.

---

(١١) يمثل هذا الرقم حاصل ضرب متوسط حجم الأسرة في عدد المساكن المأهولة.

(١٢) تقديرات وزارة الشؤون البلدية والقروية.

(١٣) بعض هؤلاء هم من أبناء المدينة الذين تركوها في سنوات سابقة وعادوا إليها بعد تحسن الأوضاع بها، وبعضهم ما زالوا مرتبطين بأعمال في مدينة الرياض ويقومون برحلة العمل يوميًا.

(١٤) ورد في إحصائية للمكتب الزراعي بضرما أن المساحة المخصصة لإنتاج القمح - على سبيل المثال - قد زادت من أقل من ٢٦ ألف دونم في عام ١٣٩٣هـ إلى حوالي ١٢٣ ألف دونم في عام ١٤٠٩هـ.

جدول ٣. تطور عدد سكان ضرما

السنة	عدد السكان
١٣٨٣	٥٠٠٠
١٣٩٤	٢٤١٤
١٣٩٨	٤٨٦٥
١٤٠٧	٦٠٠٠
١٤١٠	٧٣٥٦

المصدر: [٢٠-٢٣].

جدول ٤. المؤسسات الحكومية في ضرما وسنوات تأسيسها

المؤسسة	سنة التأسيس
إمارة*	١٣٥٠هـ
مدرسة ابتدائية للبنين**	١٣٧٠هـ
محكمة*	١٣٧٥هـ
مكتب بريد وبرق	١٣٧٥هـ
هيئة أمر بالمعروف	١٣٧٦هـ
مستوصف	١٣٧٧هـ
مدرسة متوسطة للبنين**	١٣٨٠هـ
مدرسة ابتدائية للبنات**	١٣٨٣هـ
مندوبية للبنات	١٣٨٣هـ
شرطة	١٣٨٦هـ
مكتب زراعي	١٣٨٦هـ
مدرسة متوسطة للبنات	١٣٩٢هـ
بلدية	١٣٩٣هـ
دفاع مدني	١٣٩٤هـ
مدرسة ثانوية للبنين	١٣٩٦هـ
معهد ثانوي للبنات***	١٣٩٦هـ
هاتف واتصالات	١٣٩٨هـ
مدرسة ثانوية للبنات	١٤٠٠هـ
مكتب أوقاف	١٤٠٥هـ

* سنوات التأسيس الرسمية وقبل هذا التاريخ كان يوجد في ضرما قاض وأمير لإدارة شؤونها.

** يوجد في ضرما حاليًا مدرستان ابتدائيتان للبنين ومثلهما للبنات ومتوسطتان للبنين.

*** تم إغلاق المعهد عام ١٤٠٠هـ بعد اكتفاء المدينة من المدرسات الوطنيات للمرحلة الابتدائية.

المصدر: [٢٣].

جدول ٥ . تطور أعداد المؤسسات التجارية وأنواعها في ضرما لعامي ١٣٩٥-١٤٠٥هـ

نـوع النشـاط	١٣٩٥	١٤٠٥
مطعـم	٢	١٠
مقهى	٢	٣
بقالة	٦	٢٩
جزار	-	٣
مخبز	-	٤
بيع دواجن		٢
بيع ألبان		١
صالون حلاقة		٥
مغسلة		١
خياط رجالي		٦
خياط نسائي		١٤
معمل مياه صحية		٢
مطاحن حبوب		٢
ورشة حدادة	٢	٦
ورشة ميكانيك	١	٥
بنشر	٢	١٠
محطة بنزين	٢	٨
قطع غيار سيارات		٤
معرض سيارات		١
مكتب سياحي		١
مكتبة تجارية		١
مصرف		٢
المجموع	١٧	١٢٠

المصدر: [٢٤].

جدول ٦ . المؤسسات الاقتصادية في ضرما عام ١٤١٢هـ

نـوع النشـاط	العـــدد
مواد غذائية (بقالات)	٧٦
ملابس جاهزة	٣٢
بيع لحوم (ملحمة)	٣
مخابز	٤
محلات خياطة	٤٥
مفروشات وديكورات	٣٠
محطات بنزين	٩
ورش إصلاح سيارات	٢٢
مؤسسات تجارية	٢٨
ورش حدادة	١٩
ورش تبريد	١٧
ورش سباكة	١٨
محلات خدمة شخصية	*١٣٠
المجمـوع	٤٣٣

* تشمـل المـطاعم والمقـاهي ومغاسل الملابس ومحلات التصوير والحلاقة وغيرها.

المصدر: [٢٤].

٢ ـ الخصائص الديموغرافية

أما بالنسبة للخصائص النوعية للسكان فتشير بيانات الدراسة إلى أن متوسط حجم الأسرة في ضرما قد انخفض في السنوات الأخيرة، فبعد أن كان يبلغ ٧ أشخاص في عام ١٣٩٤هـ و٦,٨ في عام ١٣٩٨هـ (١٢ : ١٧) فهو حاليًّا ٦,١ فرد، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى التحـول نحو نظام الأسر الصغيرة الحجم (النواة) والتي تضم الزوج والزوجة والأولاد، فالأسر الكبـيرة الحجم والتي يكـون عدد أفرادها تسعة فأكثر لم تتجاوز نسبتها (٣٣٪). أما بالنسبة للتركيب العمري والنوعي للمستجوبين فنلاحظ ارتفاع نسبة الفئة العمـرية بين ٢٥ـ٥٥، حوالي (٥٨٪) وكذلك العزاب حوالي (٢١٪) بسبب استقطاب المدينة لأعداد كبيرة من الشباب خاصة بعد توسع مجال الخدمات والأعمال فيها وزيادة أعداد العـمالـة غير السعـودية. معـظم المستجـوبـين من مواليد مدينة ضرما (٦٧,٨١٪) بينما

(١٩,٣٢٪) مولودون خارجها، جميعهم من غير أهالي المدينة. أما بالنسبة لمكان السكن السابق للأسر الوافدة إلى ضرما حديثًا فنسبة كبيرة منهم قدموا من مدينة الرياض (٤٦٪) وبعضهم من المناطق الريفية والمدن القريبة (٣٨٪) ونسبة غير السعوديين شكلت نحو (١٦٪) (جدول ٧).

جدول ٧. بعض البيانات عن السكان والإسكان ـ لمدينتي الرياض وضرما.

البيانات	الرياض (١٤٠٨هـ)	ضرما (١٤١٠هـ)
السكان	١٣٨٩٠٠٠ (١٤٠٨هـ)	٧٣٥٦
المساحة / هكتار (١٤٠٧هـ)	٤٩,٥٥٠	٥٦٧
نسبة الزيادة السنوية	(٩٧-١٤٠٧هـ) ٧,٦	(٩٨-١٤١٠هـ) ٤,٥
الكثافة الإجمالية للسكان ١٤٠٧هـ	٢٨,٦	١١
٪ السعوديين	٦١	٨٤
متوسط حجم الأسرة	٥,٧	٦,١٢
متوسط الدخل الشهري	٦١٦٦	٤١٣٧
متوسط عدد السيارات لكل أسرة	١,٣	١,٥
نسبة الوحدات السكنية من نوع : الفلل	٤٠	٦٣
نسبة الوحدات السكنية من نوع : الشقق	٤٢	١٣
نسبة الوحدات السكنية من نوع : التقليدية	٨	٢٤
نسبة المساكن المملوكة	٦٥	٦٦,٥
متوسط عدد الأشخاص في الغرفة	١,١	١,٩٠
حالة المساكن :		
جيدة	٦٢,١	٨٠
متوسطة	٢٨,٢	١٢,٥
رديئة	٧,٧	٧,٥
نسبة المساكن الموصلة : بمياه	٩٨	٩٦,٦
= بالكهرباء	٩٧,٦	٩٨,٩
= الهاتف	٦٤,٢٥	٧٨,٢

المصدر: [٢٢، ٢٣، ٢٦].

٣ ـ الحالة التعليمية

بالنسبة للتعليم في ضرما فهو في تطور مستمر والحالة التعليمية للسكان عمومًا جيدة فقد وجد أن نسبة الأمية في ضرما والتي كانت ٢٥٪ في عام ١٣٩٨هـ أقل من أي بلدة أخرى تمت دراستها من قبل وزارة الشؤون البلدية والقروية في المملكة (٢١، ص٣٧) سواء كان من مجموع عدد السكان أو ممن شملتهم إحدى الحالات التعليمية. وتتوافر في المدينة المؤسسات التعليمية للمراحل كافة ما قبل الجامعية للبنين والبنات على حد سواء، وتوجد مبانٍ حكومية لجميع المدارس عدا مبنى واحد مستأجر تشغله إحدى مدارس البنات. يتراوح عدد الطلاب في الفصل بين ١٦ـ٤٠ طالبًا، ويرتفع العدد بصورة خاصة في المراحل الثانوية بحكم أن مدارس هذه المرحلة تخدم سكان عدد من القرى التابعة لإمارة ضرما والتي لاتتوافر بها حاليًّا مدارس ثانوية.

٤ ـ الحالة الاقتصادية

الدخل مؤشر مهم في تقويم المستوى المعيشي الذي يتمتع به السكان، فمتوسط الدخل العام لعينة الدراسة (متوسط دخل رب الأسرة) بلغ نحو ٤١٣٧ ريالاً شهريًّا، كما أن ملكية السيارة عالية، نحو ١,٥ سيارة لكل أسرة ونسبة من لا يملكون سيارات كانت أقل من (١٥٪) معظم هؤلاء من غير السعوديين.

أما بالنسبة لنوعية الأعمال التي يزاولها السكان، فمعظم السعوديين في أعمال حكومية (٧٠,١٢٪) يعمل منهم ما نسبته حوالي (٢٢٪) في وظائف تعليمية وأكثر من (٤٨٪) في أعمال إدارية وأمنية، وفي القطاع الخاص يزاول بعض السكان أعمالاً في التجارة والنقل والزراعة والصناعة. يتركز غير السعوديين في الأعمال الفنية والحرفية كنجارين، وسباكين، وباعة، وعاملي بناء وحدادة نحو (٨١٪) منهم، أو كاختصاصيين، مدرسين أو كأطباء وممرضين حوالي (١٩٪). يحظى القطاع الإداري والخدمي عمومًا بأعلى نسبة من العاملين في القطاعات الاقتصادية كافة، بينما القطاع الزراعي الذي كان حتى وقت قريب يعمل به معظم السكان أتي في مرتبة متأخرة. فقد وجد أن من يعمل به فقط حوالي (٢٪) من عينة الدراسة؛ وإن كان بعض من سكان المدينة يزاولون الزراعة في أوقات فراغهم. استحوذ قطاع الخدمات في المدينة على أغلب العاملين وذلك يعود إلى توسع القطاع الحكومي، في السنوات الأخيرة، في مجالات التعليم والأمن والإدارة والمرافق، وازدهار قطاع الخدمات

الخاصة كالمحلات التجارية والمطاعم والمصارف ومحطات الخدمة وتجارة العقار. أما القطاع الصناعي فلا تزال مساهمته محدودة ويقتصر على صيانة وإصلاح السيارات وصناعة بعض مواد البناء والألبان والمواد الغذائية والأثاث، وقد أنشئت حديثًا منطقة صناعية يجري العمل على تهيئتها لإقامة مؤسسات هذا النشاط عليه.

ونظرًا لعدم توافر بيانات دقيقة فمن الصعب قياس أو معرفة تكاليف المعيشة في مدينة ضرما، إلا أنه من الملاحظ أنه ـ مقاسة بأجور وقيم المساكن ـ أقل بكثير من مثيلاتها في المدن الكبيرة.(١٥)

ثانيًا: الخصائص الإسكانية

يعد الوضع الإسكاني من الركائز الأساسية التي تستند عليها دراسات نوعية الحياة. ونوعية الحياة في ضرما، كما في غيرها من الأماكن، مرتبطة بدون شك بالوضع السكني للفرد، وبالنظر في أوضاع الإسكان في مدينة ضرما نجد أن حالة المساكن تعتبر جيدة (جدول ٧)، فمعظمها حديثة شيدت خلال الـ ١٥ سنة الماضية على أراضٍ ممنوحة وممولة من الدولة، ووفق مخططات وفسوحات من بلدية المدينة.

تتكون معظم المساكن في ضرما من طابقين في الغالب، وتتمشى مع التطور العمراني في المملكة من ناحية تصميمها ومواد بنائها، وهي في معظمها من نوع الفلل أو الوحدات المنفردة ذات الارتدادات بنيت على مساحات تتراوح بين ٤٠٠-٧٥٠م٢ بمتوسط ٧ غرف للمسكن الواحد و ٠,٩٠ أفراد في الغرفة الواحدة. ويملك أغلب السكان أفراد العينة (٦٦,٥٪) المساكن التي يقطنونها، ووجد بأن الفلل تشكل (٦٣٪) من نوعية مساكن أسر العينة ثم المساكن التقليدية (٢٤٪) وأخيرًا الشقق (١٣٪)، بعض المساكن التقليدية مازال في حالة جيدة خاصة تلك التي شيدت من البلوك الأسمنتي والحجر، أما المباني الطينية منها في طريقها إلى الزوال بعد أن هجرها أصحابها (الشكلان ١٠، ١١) إلى المساكن الحديثة

---

(١٥) تظهر بعض بيانات الإسكان في المملكة إلى أن القيمة الإيجارية للمساكن في المدن الكبرى أعلى بكثير من تلك الموجودة في المدن المتوسطة (٨) [٢٥]. كما تبين من خلال ملاحظة الباحث أن أسعار الأراضي وأجور المساكن في ضرما تقل بأكثر من النصف عن الحالات المشابهة لها في مدينة الرياض (خصائص المسكن، وموضعه وموقعه).

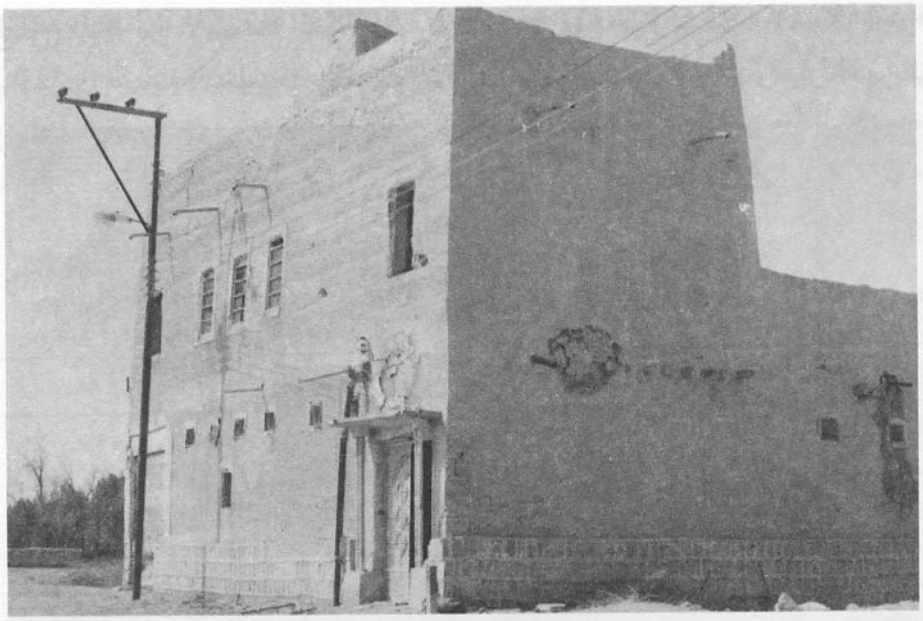

شكل ١٠ . مثال على المساكن التقليدية (المهجورة) في ضرما .

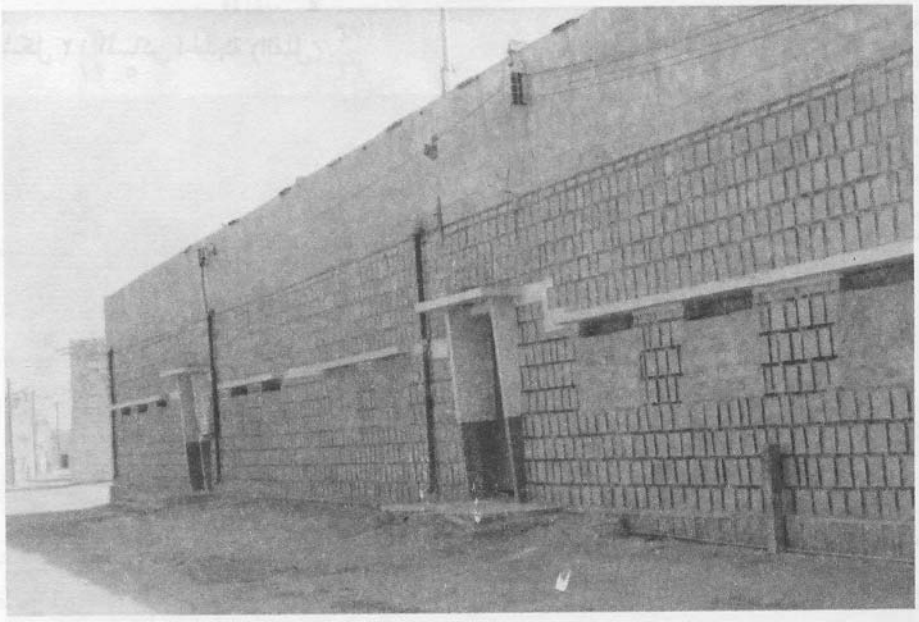

شكل ١١ . نموذج آخر للمساكن التقليدية (المأهولة) في ضرما .

(الفلل) المبنية من الأسمنت المسلح والبلوك الأسمنتي والحجر (الشكلان ١٢، ١٣) يتوافر في المساكن الحديثة التجهيزات الأساسية من تمديدات المياه (٩٦,٦٪) والتيار الكهربائي

شكل ١٢ المساكن الحديثة (الفلل).

شكل ١٣ . الشقق السكنية وقد اصطف في أسفلها عدد من المحلات التجارية.

(٩٨,٨٥٪) والهاتف (٧٨,١٦٪) (جدول ٨,٧) بالإضافة إلى الحمامات والمطابخ (١٠٠٪) والحدائق (٣٤٪)، كما تبين أن أصحاب هذه المساكن يملكون في الغالب التجهيزات الأخرى كافة من ثلاجات وسخانات الماء ومكيفات وأجهزة التلفاز وغيرها من الأجهزة الكهربائية الأخرى التي توفر الراحة والرفاهية للسكان.

جدول ٨. بعض البيانات السكانية والإسكانية ـ عن مدينة ضرما لعامي ١٣٩٨هـ و ١٤١٠هـ.

البيانات	١٣٩٨هـ	١٤١٠هـ
السكان	٤٨٦٥	٧٣٥٦
نسبة الزيادة السنوية	(٩٤-٩٨هـ) ١,١٩	(٩٨-١٤١٠هـ) ٤,٥
متوسط الدخل الشهري	٣٧٦٨	٤١٣٥
نسبة الوحدات السكنية من نوع الفلل	٣٩	٦٣
نسبة الوحدات السكنية من نوع الشقق	٦	١٣
نسبة المساكن التقليدية	٥٥	٢٤
نسبة المساكن المملوكة	٧٢	٦١
حالة المساكن:		
جيدة	٦٧	٨٠
متوسطة	٢٦	١٢,٥
رديئة	٧	٧,٥
نسبة المساكن الموصلة بمياه من الشبكة	١٠٠	٩٦,٦
نسبة المساكن الموصلة بالكهرباء	٩٨,٥٩	٩٨,٨٥
نسبة المساكن الموصلة بالهاتف	٢,١٠	٧٨,١٦

المصدر: [٢١-٢٣].

ثالثًا: الخدمات

يعد وضع الخدمات العامة من حيث توافرها ومستوى جودتها كالمدارس، الرعاية الصحية، ونظافة الشوارع والطرقات، والحدائق، وخدمات الأمن والدفاع المدني والتسويق وغيرها، ذا أهمية وعلاقة وثيقة بتقويم نوعية الحياة في المكان، فلها تأثير مباشر على حياة السكان يشعر به تقريبًا كل ساكن، كما أنها تدخل عادة في عملية المفاضلة بين الأماكن.

١ ـ الخدمات العامة والمرافق

من الملاحظ أن برامج تنمية المجتمعات أو المدن الصغيرة تركز في معظمها على ضرورة توافر الخدمات والمرافق العامة، ويهتم المسؤولون في القطاعات الحكومية المعنية كثيراً بهذا الموضوع خاصة مع نمو سكان المكان وتحسن دخولهم، وازدياد احتياجاتهم ومتطلبات عيشهم [٢، ص١٣٠].

ازداد الإنفاق في المملكة على الخدمات والمرافق العامة في السنوات القليلة الماضية تبعًا لنمو السكان وزيادة الطلب عليها، كما حصل تحسن ملحوظ في مستوى بعض الخدمات خلال السنوات العشر الماضية خاصة مياه الشرب والكهرباء والهاتف [٢، ص١٥٥]. وفي الواقع فإن وضع بعض هذه المرافق في ضرما أصبح نسبيًّا أفضل من أوضاعها في بعض المدن الكبرى في المملكة، (جدول ٧). يوجد في المدينة حاليًّا عدد من الدوائر الحكومية والتي تعمل على توفير ما يحتاجه سكان البلدة وتساهم في تطويرها كالبلدية، والمكتب الزراعي، والبريد والاتصالات، والشرطة، والدفاع المدني، والإمارة، والمحكمة وفرع لهيئة الأمر بالمعروف ومكتب للأوقاف.

بالنسبة للخدمات الصحية فيوجد في المدينة مركز صحي يعمل به: عشرة أطباء وطبيبات، وسبعة ممرضين وممرضات، وقابلة توليد، ويوجد كذلك في المركز طبيب أسنان، ومعمل أشعة ومختبر تحاليل طبية وسيارتا إسعاف، ولكن إمكانية العلاج لكثير من الإصابات والحالات الطارئة غير متوافرة، حيث يتم نقل المصاب إلى مدينة الرياض، ويبلغ متوسط عدد مراجعي المركز يوميًّا نحو ١٨٠ فردًا [٢٧]، أي أنه يتحمل عبئًا كبيرًا لأن المركز لا يقوم بالإشراف الصحي والمعالجة لسكان المدينة فقط، بل كذلك لمن يسكنون في المزارع وبعض القرى المجاورة بالإضافة إلى أن المدينة تقع على طريق إقليمي تسير عليه حركة مرورية كثيفة خاصة خلال مواسم الإجازات وعطل نهاية الأسبوع.

تعتمد الأنشطة الترويحية اليومية للإنسان ونمطها على ميزانية الوقت لدى الفرد، فالنشاط الترويحي خارج المنزل أصبح من الضروريات في وقتنا الحاضر بعد زيادة وقت الفراغ، وهو مجال يهتم به المخططون للبيئة الحضرية كثيراً، ويحرصون على أخذه في الاعتبار عند تخطيطها، وفيما يخص خدمات الترويح في ضرما فيوجد حاليًّا نادٍ رياضي يزاول فيه الشباب الألعاب الرياضية، كما توجد بعض الحدائق الصغيرة والتي يمارس فيها الأطفال

بعض الألعاب المسلية (الشكل ١٥)، ويغطي المدينة حاليًّا الإرسال التلفازي للقناة الأولى بينما استقبال القناة الثانية ضعيف، كما توزع في ضرما الصحف والمجالات بصورة يومية.

شكل ١٤ . أحد المساجد المنشأة حديثًا.

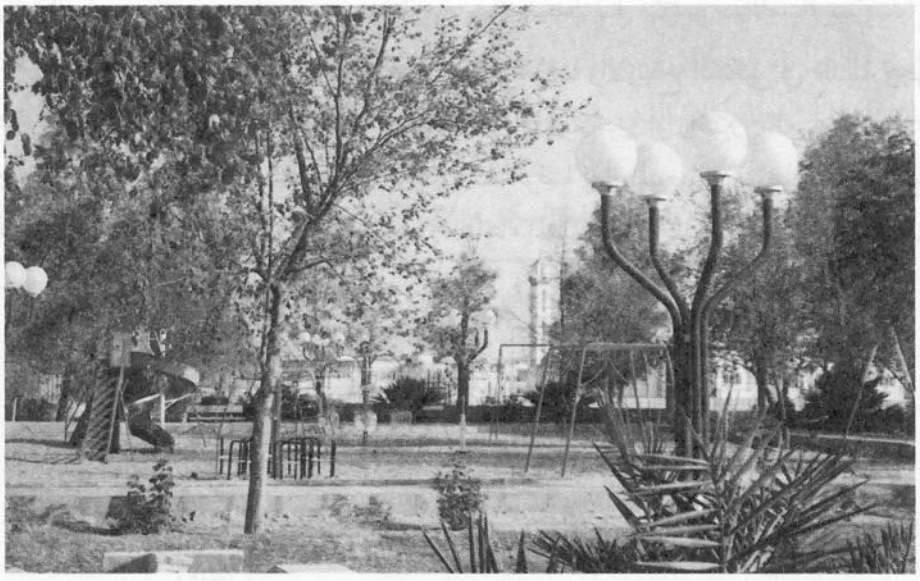

شكل ١٥ . إحدى الحدائق العامة.

٢ ـ الخدمات الخاصة

يوجد في ضرما ـ كما ذكر سابقًا ـ عدد متزايد من المؤسسات الخاصة، التي تفي بالكثير من احتياجات السكان الاستهلاكية، وتبعث بتوافرها على مزيد من الارتياح السكني كمحلات بيع المواد الغذائية والملابس والأجهزة المنزلية والأثاث وورش الإصلاح ومحطات الخدمة والمصارف ومعامل مواد البناء والمغاسل والمطاعم وغيرها من الخدمات الأخرى.

ولاشك أن موقع ضرما قرب مدينة الرياض وسهولة الاتصال بها قد أفادها من نواح عديدة إلا أنه من ناحية أخرى يعد سببًا في عدم توافر بعض الخدمات العامة والخاصة فيها كوجود مستشفى، وفرص ترويح إضافية وكذلك بعض خدمات التسوق الأخرى.

الرضا السكني

نعتبر في هذه الدراسة وجهة نظر السكان ومدى رضاهم عن الوضع المعيشي والسكني في مدينة صغيرة شهدت تغيرات سريعة تقويمًا لنوعية الحياة فيها، ولتحقيق هذا الغرض تم استخدام عدة متغيرات تعبر عن حالة الارتياح العام لعينة الدراسة وعن مدى رضاهم عن حالة مساكنهم وعن الخدمات والمرافق والبيئة الاجتماعية وقد جرى تحليل آراء وانطباعات السكان هذه.

تبين من الإجابات التي حصل عليها حول الرضا والارتياح السكني في المدينة وجود نسبة مرتفعة جدًّا، أكثر من (٩٣٪) من المستجوبين مرتاحين أو راضين بالعيش في ضرما (جدول ٩)، ووجد أن التفاوت في معدلات الرضا بين المبحوثين مرتبط بصورة كبيرة بالاختلافات في عمر ومكان ولادة الشخص، فأبناء المدينة ذوو الخلفيات الحضرية ممن سبق

جدول ٩. الرضا السكني.

الرضى السكني	التكرار	النسبة المئوية
راض تمامًا	٤٩	٥٦,٣٢٪
راض	٣٢	٣٦,٧٨
غير راض	٢	٢,٣٠
غير اطلاقا	٤	٤,٦٠

لهم العيش في المدن الكبرى أو سكان المدينة الآخرون كانوا نسبيًّا أقل رضًا، بينما نجد أن كبار السكن ممن نشأوا في فترة كانت فيها الظروف المعيشية في ضرما تعد سيئة يشعرون أكثر من غيرهم برضا وارتياح وإلى حد ما الأقل تعليمًا (الجدول ١٠-١٣)، في حين لم يبد أي من غير السعوديين الذين تم استجوابهم عدم رضا بالعيش أو السكنى في ضرما.

أما فيما يخص تقويمهم ورضاهم عن وضع مساكنهم بصفة عامة، دون الدخول في التفاصيل الخاصة بالمساكن من حيث حجمه وتصميمه ومواد البناء والتجهيزات المتوافرة فيه على اعتبار أنها خارج إطار هذه الدراسة، فحوالي (٨٧٪) منهم كانوا راضين عن أوضاع مساكنهم (جدول ١٤)، وقد يعود ذلك إلى التحسن في ظروف الإسكان في ضرما، كما هو الحال في معظم مدن وقرى المملكة بسبب تسهيلات الإقراض الحكومية بعد إنشاء صندوق التنمية العقارية وتوزيع أراضي المنح السكنية على المواطنين من قبل الدولة، وتوافر مرافق الماء والكهرباء والهاتف في معظم هذه المساكن بالمقارنة بأوضاع وحالة المساكن التقليدية التي يفتقد معظمها الكثير من هذه التجهيزات إضافة إلى قدمها وسوء حالة الكثير منها، وقد هجر معظمها والجيد منها يشغله حاليًّا في الغالب بعض العمالة الوافدة من غير السعوديين.

غالبًا ما يصاحب نمو المدن ضغط على المرافق والخدمات والتي يجب أن يواكب نموها تزايد ونمو السكان، فهؤلاء لهم احتياجاتهم من الخدمات التعليمية، والصحية والترويحية والمياه والكهرباء وغيرها، فمن المتوقع أن تظهر بعض السلبيات وتنعكس على تقويم الناس لهذه الخدمات وللمكان الذي يعيشون فيه إذا لم يحصل نمو أو توسع مماثل يساير الطلب

جدول ١٠. العلاقة بين الرضا السكني ومكان الولادة.

الرضا السكني	مولود في ضرما (٪)	مولود خارج ضرما (٪)
راض تمامًا	٧٣,٩١	٣٣,١٤
راض	٢٦,٠٩	٤٦,٤٣
غير راض	—	٧,١٤
غير راض إطلاقًا	—	١٣,٢٩
مجموع الإجابات	١٠٠ (٤٦)	١٠٠ (٢٨)

قيم مربع كاي (Chi-square) = ٢٢,٣٠ مستوى الدلالة = ٠,٠١
قيمة كريمر (Cramer's) = ٠,٢٩

جدول ١١ . العلاقة بين الرضا السكني ومكان العمل السابق.

الرضـا السكنـي	عمل في ضرما فقط (٪)	عمل في مكان آخر (٪)
راض تمامًا	٦٢,٥٠	٤٨
راض	٣٧,٥٠	٤٠
غير راض	—	٤
غير راض إطلاقًا	—	٤
مجموع الإجابات	١٠٠ (٣٢)	١٠٠ (٤٨)

قيم مربع كاي (Chi-square) = ٨,٩٤٠ مستوى الدلالة = ٠,١٨
قيمة كريمر (Cramer's) = ٠,٢٣

جدول ١٢ . العلاقة بين الرضا السكني والمستوى التعليمي (بالنسبة المئوية).

الرضـا السكنـي	أمـي	يقرأ ويكتب	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي
راض تمامًا	١٠٠	١٠٠	٦٠,٠	٧٢,٠٠	٥٠	٣٣,٣٣
راض	—	—	٢٠,٠	٢٠,٠٠	٥٠	٦٦,٦٧
غير راض	—	—	٦,٦٧	—	—	—
غير راض إطلاقًا	—	—	١٣,٣٣	٨,٠٠	—	—
مجموع الإجابات	١٠٠ (٣)	١٠٠ (١)	١٠٠ (١٥)	١٠٠ (٢٥)	١٠٠ (١٨)	١٠٠ (١٢)

قيم مربع كاي (Chi-square) = ٢٣,٣٣ مستوى الدلالة = ٠,١٨
قيمة كريمر (Cramer's) = ٠,٢٩

جدول ١٣ . العلاقة بين الرضا السكني والعمر.

الرضى السكني	أقل من ٢٥	٢٥ ـ أقل من ٣٥	٣٥ ـ أقل من ٤٥	٤٥ ـ أقل من ٥٥	٥٥ـ٦٥	أكثر من ٦٥
راض تمامًا	٤١,٣٨	٥٨,٠٦	٦٤,٢٩	٦٠	٧٥	١٠٠
راض	٥١,٧٢	٢٩,٠٣	٣٥,٧١	٤٠	٢٥	
غير راض	٣,٤٥	٣,٢٣	—	—	—	—
غير راض إطلاقًا	٣,٤٥	٩,٦٨	—	—	—	—
مجموع الإجابات	١٠٠ (٢٩)	١٠٠ (٣١)	١٠٠ (١٤)	١٠٠ (٥)	١٠٠ (٤)	١٠٠ (٢)

قيم مربع كاي (Chi-square) = ١٠,٨١ مستوى الدلالة = ٠,٩
قيمة كريمر (Cramer's) = ٠,٢٠

جدول ١٤. الرضا بالمساكن والخدمات والبيئة الاجتماعية.

الرضا	راض ٪		غير راض ٪		٪	مجموع الإجابات
الرضا عن وضع المسكن	٧٦	٨٧,٣٦	١٠	١١,٤٩	١,١٥	٨٦
الرضا عن وضع الخدمات والمرافق	٤٧	٥٤,٠٢	٤٠	٤٥,٩٨	-	٨٧
الرضا بحالة العلاقات الاجتماعية	٦٢	٧١,٢٦	٢٢	٢٥,٢٩	٣,٤٥	٨٤

والاحتياج، وسؤالنا كان عن مدى رضا السكان عن الخدمات والمرافق العامة عمومًا في المدينة. تشير النتائج إلى أن وضعها إلى حد ما حسن، فقد أبدى (٥٤٪) منهم رضا عن وضع الخدمات في المدينة (جدول ١٤)، ففي السنوات الماضية أضيفت خدمات جديدة وحسنت أو طورت خدمات قائمة كالخدمات الإدارية والأمنية والبلدية والتعليمية والاتصالات والطرق وتحدث أفراد العينة عنها بإيجابية، وبالذات عن الخدمات التعليمية ربما لتوافر مدارس للبنين والبنات بمراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية كافة، بينما كان المستجوبون أقل رضا عن وضع الخدمات الصحية والترويحية ومياه الشرب على وجه الخصوص.

يشير انطباع السكان ـ إذًا ـ إلى أن وضع الخدمات مقبول، ولكن بعض أفراد العينة أفادوا في إجاباتهم عن سؤال آخر بأن النقص في بعض الخدمات في المدينة يعد سببًا في عدم الارتياح والرغبة في الهجرة، كما ذكر نحو (٤٦٪) من عينة الدراسة رغبتهم وتفضيلهم العيش في مكان تتوافر به خدمات أفضل مما يتوافر في ضرما. وهذه النسبة المرتفعة نسبيًا تعد تقويمًا آخر لما يتوافر ـ في ضرما ـ من مرافق وخدمات من ناحية، كما تظهر لنا من ناحية أخرى درجة أهمية هذا العامل كأحد عناصر أو مكونات نوعية الحياة الأساسية.

من الموضوعات التي يهتم بها المخططون وصناع القرار أثر النمو في سكان المدن على الحياة الاجتماعية فيها، فهناك بعض الآثار الواضحة الناجمة عن النمو السكاني السريع للأماكن، ومن ذلك التغير في طرق العيش والقيم وأنماط التعامل، وبالتالي التأثير على العلاقات بين الأفراد والأسر. فبعض الدراسات في المجتمعات الغربية ـ مع إدراكنا للفوارق بين مجتمعنا العربي المسلم وبين مجتمعاتهم ـ وجدت أن هناك علاقة عكسية بين الرضا بالعلاقات الاجتماعية وحجم المكان ومن ذلك التعاون والتكاتف بين الأفراد والأسر

وعلاقات الصداقة أو العلاقات الأخوية الحميمة، فكلما زاد أو كبر حجم المكان زاد التنوع الاجتماعي، وتقل الصفات التي يشترك فيها سكان المكان، وبالتالي تضعف أو تفتر العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع [٢٨، ٢٩].

كانت ضرما كغيرها من الأماكن الأخرى في المملكة والتي تعرضت لتغير واضح من النواحي الوظيفية والسكانية والعمرانية، تتصف بالتجانس الاجتماعي، ولهذا فالسؤال هنا هو: هل توجد علاقة بين النمو والتغير السكاني والرضا بالعلاقات الاجتماعية؟ وما أثر ذلك على نوعية الحياة في المدينة؟. لاستطلاع درجة الترابط والانسجام الاجتماعي بين سكان ضرما والتي كان مجتمعها وحتى وقت قريب يتميز بالتعاون والتماسك بين أعضائه ويتكون من عدد محدود من الأسر التي حافظت لسنوات طويلة على مقومات انسجامها وتكاتفها ومتانة العلاقات بينها، فقد طرح سؤال حول هذا الموضوع على عينة الدراسة، وأبدى معظمهم (٧١٪) في إجاباتهم عليه عن رضا بوضع البيئة الاجتماعية والمتمثل في الاتصال المستمر بين أفراد المجتمع خاصة ذوي القربى منهم والجيران (جدول ١٤). وهذا أمر ليس بمستغرب في مدينة صغيرة الحجم سكانيًا وفي مجتمع مسلم تؤكد تعاليم الدين فيه على المساواة وعدم التمايز بين أفراد المجتمع بسبب اقتصادي أو اجتماعي أو حضاري (عرقي أو لغوي) كما هو الحال في مجتمعات أخرى. وقد أكد على ذلك رسول الله ﷺ حين قال: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم.» فالإسلام دين يحث على التواصل والتزاور بين الأقاربُ أبناء الجيرة، وعلى التكاتف بين أبناء المجتمع الواحد قال تعالى ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (سورة النساء الآية ٣٦) وكذلك تنص أحاديث أحاديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم ومنها قوله ﷺ «خير الأصحاب عند الله ـ تعالى ـ خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى ـ خيرهم لجاره»، ويعزز من مستوى الألفة والتعاون بين أبناء المجتمع المسلم دور المسجد وفضل صلاة الجماعة حيث يلتقي المسلم بأخيه المسلم خمس مرات في اليوم.

تأكيد المستجوبين على أهمية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والأسر يدل على أن الناس بدأت تعي وتشعر بالتغيرات المصاحبة عادة للتغير الاجتماعي خاصة أولئك الذين سبق لهم العيش في مدن كبيرة، كالفتور أو الضعف النسبي في العلاقات بين الناس، وبأن هذا العامل وعوامل أخرى سبقت الإشارة إليها قد تكون سببًا في نمو الأماكن الصغيرة في المستقبل وفي الحد من هجرة سكانها نحو المدن الكبرى، وفي الواقع فإنها أخذت تبرز كعوامل للمفاضلة بين الأماكن وبالتحديد علاقات التقارب والتزاور والتكاتف بين الأسر في المدن [٣، ص٤١]، كما أفاد بعض أفراد عينة الدراسة حوالي (١٨٪) إلى العلاقات الاجتماعية من تكاتف وترابط بين الأسر في إجاباتهم عن سؤال عن أبرز ما يعجبهم في مجتمع مدينة ضرما، بل يعد بعضهم أن هذه الميزة من أهم أسباب الارتياح في المدينة. عمومًا النسب أعلاه تعد أقل مما كان متوقعًا لها، وتوحي بوجود فتور نسبي في العلاقات بين أفراد وأسر مجتمع المدينة، وقد يكون للبنية العمرانية الحديثة، ـ خاصة بعد انتشار استخدام وملكية السيارة على نطاق واسع ـ والمتمثل في طرقاتها الفسيحة ومساكنها ذات الارتدادات، والكبيرة الحجم نسبيًا (الفلل) بعض الآثار السلبية على الناحية الاجتماعية. فقد ساعدت المتغيرات السابقة على انتشار العمران واتساع مساحة المدينة والتباعد بين أجزائها، وبالتالي تفكك أو عدم تماسك البنية العمرانية. فمساحة الكتلة العمرانية الحديثة للمدينة تتجاوز ستة أضعاف الكتلة العمرانية القديمة، وهذا بدون شك يقلل من فرص الاتصال والالتقاء بين سكان الحي أو المجاورة (الحارة) السكنية وبالتالي يضعف من الروابط الاجتماعية بين الأسر عكس ما كان عليه الحال في الماضي حين كانت المساكن متلاصقة وذات أحجام صغيرة مما جعل البلدة ذات حيز مساحي صغير والمجاورات السكنية فيها عبارة عن وحدات متراصة ومتكتلة بسبب عدم وجود فراغات بينها من ناحية، وبسبب صغر عرض الطرقات من ناحية أخرى، والتي كانت عبارة عن أزقة وممرات تربط بصورة عفوية بين حارات البلدة ومساكنها، وبعضها كان غير منفذ وأجزاء منها كانت مسقوفة أو مظللة، ساعدت على الاتصال بين الأسر وفي تقوية الروابط بينها. كذلك فإنه من غير المستبعد أن يكون للتغير في تركيبة سكان ضرما بعد أن وفدت إليها لغرض العمل عناصر سكانية جديدة دور في الضعف النسبي للعلاقات بين مجتمع المدينة.

يتصف الفـرد وبالذات في المجتمعات الصغيرة بقوة انتمائه وتعلقه الشديد بالمكان الذي يعيش فيه أو كما نسميه حب الوطن، وفي محاولة لمعرفة درجة أو مستوى هذه العلاقة وبصورة غير مباشرة من خلال سؤال تُظهر الإجابة عنه مدى وجود شعور بروح المسؤولية الجماعية أو المشتركة من قبل السكان تجاه مدينتهم، ويكشف كذلك عن مقدار الاهتمام الذي يوليه السكان لشؤون ضرما ومدى الحرص على مستقبلها. أفاد (٦٤٪) في إجاباتهم عن هذا السؤال بوجود اهتمام من قبل أهالي المدينة بشؤونها، وهذه النسبة في الواقع تعد أيضًا منخفضة وأقل مما كان متوقعًا لها، وتوحي بوجود ضعف في الحرص الجماعي على أمور المدينة ربما بسبب التغيرات الملحوظة في التركيبة السكانية للمدينة وانشغال كثير من الناس بشؤون حياتهم الخاصة.

وفي تحليلنا الإحصائي للعلاقة بين المتغيرات الثلاثة والرضى السكني وجد أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية وإن كانت ليست قوية بين الرضى العام أو الارتياح السكني في المدينة وكل من رضى السكان عن مساكنهم (Cramer's = .51) وعن الخدمات العامة المقدمة لهم (Cramer's = .34) وعن العلاقات الاجتماعية بين السكان في المدينة (Cramer's = .30) تبين لنا نتائج هذا التحليـل درجة أهمية هذه المتغيرات بالنسبة لرضى السكان وارتياحهم في أماكن سكناهم.

تم في هذه الدراسة كذلك طرح أسئلة مفتوحة Open ended questions طلب فيها من المبحوثين ذكر أبرز ما يعجبهم وما لا يعجبهم في ضرما دون تحديد، وذلك بهدف معرفة المزيد عن الأسباب التي تدعو إلى ارتياحهم أو عدم ارتياحهم من خلال أجوبتهم على تلك الأسئلة المفتوحة التي تترك لهم حرية التعبير بذكر ما يرونه من إيجابيات أو سلبيات العيش في ضرما، وكما يتضح من الجدول ١٥، ذكر جزء كبير من عينة الدراسة من بين العناصر التي تبعث على الارتياح في المدينة الهدوء، ومتانة العلاقات الاجتماعية، وانتشار المساحات الخضراء، ونظافة البيئة ونقاء الهواء، وسهولة التنقل بين أجزاء المدينة للأغراض المختلفة، فيما ذكر بعضهم الآخر توافر ما يحتاجونه فيها، فبعض السكان يشعرون هنا بالتحسن في عدد من مظاهر الحياة كالسكن، والتعليم، والاتصالات والكهرباء، وهذه مؤشرات توحي بأن الفروق في نوعية الحياة وظروف العيش بين المدن الكبيرة والصغيرة في المملكة من هذه النواحي آخذة في التضاؤل والتقلص.

جدول ١٥ . ما يعجب في ضرما وفق أجوبة عينة الدراسة .

الإجابـات	التكـرار ٪
١ ـ الهدوء وعدم الإزعاج / السكينة	٣٧
٢ ـ المجتمع / طيبة أهلها / كثرة الأصدقاء / التقارب والتزاور بين الأهالي والجيران	٢٤
٣ ـ نقاء الهواء / الهواء الطلق	١٢
٤ ـ المسطحات الخضراء، انتشار المزارع	١٢
٥ ـ توافر إمكانية الحياة	١٠
٦ ـ قربها من مدينة الرياض	٩
٧ ـ عدم الازدحام في حركة المرور / سهولة المواصلات	٩
٨ ـ بساطة الحياة	٥
٩ ـ نظافة وعدم تلوث البيئة	٥
١٠ ـ الأمن والأمان / الطمأنينة / استقرار نفسي	٤
١١ ـ توافر العمل	٢
١٢ ـ الشوارع الفسيحة	٢

أما بالنسبة لسلبيات العيش ـ كما يراها السكان عينة الدراسة ـ في ضرما، فقد ذكروا عدم توافر بعض الخدمات، كصغر المركز الصحي، وعدم انتظام وصول مياه الشرب لمساكنهم، وقلة فرص التسوق، والترفيه، والعمل، وعدم وجود بعض المؤسسات التعليمية (معهد تقني، روضة أطفال)، والاعتماد الكبير على مدينة الرياض في الحصول على الكثير من احتياجاتهم، وعدم جعل ما تبقى من الطريق التي تربط بين ضرما والرياض (حوالي ٢٥ كم) طريقًا مزدوجًا (جدول ١٦).

يعتمد مفهوم نوعية الحياة ـ كما ورد سابقًا ـ على عناصر أو مكونات بشرية ويشمل ذلك مستلزمات الحياة المعيشية من فرص عمل ودخل وإسكان وخدمات تعليمية وصحية وترفيهية وغيرها، وعلى عناصر أخرى مرتبطة بالبيئة الطبيعية كالماء والهواء والنبات والتربة، وبالنسبة لحالة البيئة الطبيعية في ضرما، فنتيجة لوجود مساحات كبيرة من المسطحات الخضراء حيث تنتشر المزارع، كما أن بساتين النخيل تتخلل بعض أجزاء المدينة وتحيط ببعض جهاتها. كذلك وبسبب عدم وجود صناعات ملوثة ودور البلدية في المحافظة على نظافة البيئة بالتخلص من النفايات بصورة سليمة ووجود مصارف (بالوعات) خاصة بكل مسكن يتم بواسطتها تصريف الفضلات المنزلية غير الصلبة عبر طبقات الصخور

جدول ١٦ . بعض ما يضايق/ أو يزعج السكان عينة الدراسة في ضرما .

الإجابـــات	التكـــرار ٪
١ ـ نقص بعض الدوائر الحكومية (مرور، مستشفى ، أحوال مدنية ، وحدة صحية للبنين والبنات ، مكتبة عامة ، روضة أطفال ، ومعهد تقني)	٢٢
٢ ـ صغر المركز الصحي وعدم توافر العلاج والمختصين	١٥
٣ ـ عدم انتظام وصلاحية مياه الشرب	٧
٤ ـ قلة فرص العمل المناسبة	٤
٥ ـ تقلب الجو/ الغبار	٣
٦ ـ الاعتماد الكبير على مدينة الرياض	٢
٧ ـ الطريق بين ضرما والرياض غير مزدوج	٢
٨ ـ عدم التعاون والتفاهم فيما بين المواطنين (وعدم مساهمة الموسرين منهم في تطويرها)	٢
٩ ـ عدم وجود نقل عام	١
١٠ ـ عدم وضوح القناة التلفازية الثانية	١

الرسوبية ، فإن بيئة المدينة الطبيعية تعد إلى حد ما نظيفة عدا ما يحدث في بعض أيام وأشهر السنة من هبوب للرياح المحملةً بالأتربة والغبار. كما أن معدلات الضوضاء منخفضة بسبب صغر الحجم السكاني وقلة الكثافة السكانية وضعف النشاط الاقتصادي بالمقارنة بالحالة في المدن الكبيرة ، وإن كان قد لوحظ ارتفاع نسبي في معدلات الضوضاء وحوادث السيارات في منطقة الشارع الرئيس (طريق الرياض الحجاز القديم) حيث حركة السيارات وبالذات العابرة كثيفة ، وكذلك بسبب تركز الاستخدام التجاري والمؤسسات الحكومية في هذا الجزء من المـدينـة وقد أشار بعض عينة الدراسة في إجابتهم إلى حالة البيئة الطبيعية في ضرما (الجدولان ١٦ , ١٧) .

وبمقـارنـة بعض الإحصاءات لضرما بتلك الخاصة بمدينة الرياض، مع إدراكنا للفوارق بين المدينتين من نواحي عديدة أبرزها الاختلاف في الحجم والوظيفة وما يترتب عليهما، نلحظ أن الوضع في ضرما أفضل خاصة بالنسبة للإسكان وبعض المرافق العامة وهذه دلائل على أن بعض عناصر نوعية الحياة في المدن الصغيرة جيدة وآخذة في التحسن بالمقارنة بمثيلاتها في المدن الكبيرة (جدول ٨) .

جدول ١٧ . التقويم العام للوضع في ضرما (بالنسبة المئوية).

التقويـــم	أوافـق	لا أوافق	٪	المجمـوع
ـ ضرما اليوم في وضع أفضل من السابق	٩٠,٨٠	٩,٢٠	-	٨٧
ـ تعد ضرما مكانًا مناسبًا للعيش	٨٧,٣٦	١١,٤٩	١,١٥	٨٦
ـ يبدو أن لضرما مستقبلاً مشرقًا	٨٥,٠٦	١٣,٧٩	١,١٥	٨٦
ـ أنوي قضاء حياتي هنا في ضرما	٧٥,٨٦	٢١,٨٤	٨,٣٠	٨٥
ـ سأبقى في ضرما في حالة تحقق احتياجاتي ومتطلبات حياتي	٨٧,٣٦	١١,٤٩	١,١٥	٨٦
ـ من يتطلع لمستقبل أفضل لابد أن يهجر ضرما	٤٨,٢٨	٥١,٧٢	١,١٥	٨٦
ـ لاشيء يستحق الذكر في ضرما	٢٥,٩٢	٧١,٢٦	٣,٤	٨٤
ـ أتطلع لليوم الذي أترك فيه ضرما	٢٤,١٤	٧٣,٥٦	٢,٣	٨٥

التقويم العام للوضع في المدينة

بهدف الحصول على تقويم عام وشامل للظروف المعيشية في ضرما، كرافد إضافي مساند لبقية عناصر نوعية الحياة الأخرى في مدينة ضرما، طرح على عينة الدراسة عدد من الأسئلة التي تعبر عن أبعاد وجوانب أو أوجه مختلفة للحياة في المدينة وهذه تتراوح في محتواها بين جذب المدينة إلى إمكاناتها ومستقبلها. وكما توضحه البيانات في الجدول ١٧ هناك نسبة كبيرة من عينة الدراسة نحو (٩١٪) يشعرون بأن الوضع العام في ضرما قد تحسن كثيراً خلال السنوات الماضية، فيما يعد (٨٧٪) منهم المدينة مكانًا مناسبًا للعيش والسكنى، وأبدى (٨٥٪) من المستجوبين تفاؤلاً بأن الوضع في ضرما سيستمر في التحسن في المستقبل، فذوو النظرة السلبية أو التشاؤمية بالنسبة لمستقبل المدينة أقل بكثير من المتفائلين بينما يتوقع الغالبية للمدينة مستقبلاً وواعدًا. ولاشك أن مثل هذه الإجابات تعني مزيدًا من الاستقرار لسكان ضرما وتناقصًا في معدلات الهجرة منها. وبناءً على نتائج التحليل فإن إمكانية نمو المدينة في المستقبل واردة، خاصة وأن ضرما تشهد حاليًا عملية تغير وتطور مستمرة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، كما أنها تعد مدينة وادعة صغيرة الحجم تتصف عمومًا بالهدوء، وبساطة الحياة، وسهولة الحركة والاتصال، وبتماسك البيئة الاجتماعية فيها إلى حد ما. ولاشك أن مثل هذه العناصر ـ كما سبق الإشارة إليها ـ ستدخل مستقبلاً في عملية التقويم والمفاضلة بين الأماكن، وبالذات في حالة استمرار ازدهار ونمو الأماكن أو المدن الصغيرة وتعقد ظروف العيش في المدن الكبرى.

نوايا الهجرة

تعتبر دراسة نوايا الهجرة وسيلة على درجة كبيرة من الأهمية لعملية التخطيط لمستقبل الأماكن، فهي تزودنا بتصور عن حركة السكان المتوقعة أو المحتملة وتكشف لنا عن مصادرها ووجهاتها وأسبابها. كما أنها تعد من أفضل المؤشرات غير المباشرة لقياس أو معرفة مستوى نوعية الحياة في المكان، خاصة وأن هناك دراسات تشير إلى أن الهجرة بين الأقاليم أكثر تأثرًا واستجابة لمؤشرات نوعية الحياة منها لعوامل الدخل وفرص العمل على بقائهم في ضرما. [١٦، ص٢١٠]. تعكس نوايا الهجرة أيضًا درجة الارتياح والرضى عن نوعية الحياة في المكان، كما أنها تظهر ـ إلى حد ما ـ درجة أو قوة انتماء الفرد وتعلقه بالمكان. وبما أن كل فرد يفكر في مستقبله ويعكس ذلك نواياه ومخططاته فقد سئل السكان ـ عينة الدراسة ـ عن نواياهم ومخططاتهم المستقبلية بالنسبة لمكان العيش والسكن. تظهر لنا نتائج الدراسة وجود نسبة عالية من المستجوبين حوالي (٧٦٪) لا نية لهم في الهجرة (جدول ١٨)، وبالنسبة نفسها أبدى المستجوبون نيتهم قضاء بقية حياتهم في ضرما في حين أكد نحو ٥٣٪ من عينة الدراسة على بقائهم في ضرما وفي إجابتهم عن سؤال آخر ذكر أكثر من (٤١٪) من عينة الدراسة أن من يتطلع إلى مستقبل أفضل لابد أن يهجر ضرما (جدول ١٧). وهذه النسبة المرتفعة توحي لنا بأن تطلعات بعض السكان وطموحاتهم لم تتحقق بعد في ضرما، على الأقل في الوقت الراهن. وهذا يعني أن إمكانية الهجرة واردة لمثل هؤلاء، متى سنحت الفرصة خاصة وأن (٣٢٪) من المبحوثين غير متأكدين من بقائهم في ضرما أو هجرتهم منها (جدول ١٨)، ربما إلا في حالة حدوث ما يثنيهم عن الهجرة بتحقق ما يطمحون إلى تحقيقه

جدول ١٨. نوايا الهجرة.

	نعم (٪)	مجموع الإجابات
ـ ينوي الهجرة	٢٦,٤٤	٨٧
مدى قوة الرغبة في الهجرة من ضرما		
ـ متأكد من ترك ضرما	١٢,٦٤	
ـ غير متأكد	٣٢,١٨	
ـ متأكد من البقاء في ضرما	٥٢,٨٧	

في ضرما فلا بد ـ إذًا ـ من مسايرة تطلعات واحتياجات السكان المتزايدة، خاصة الفئات الشابة والمتعلمة منهم، بتوفير أسباب الراحة والاستقرار وفق موارد وإمكانات المكان. وبالنسبة لـ (١٤ , ٢٤٪) من عينة الدراسة الذين أبدوا فعلاً رغبة في الهجرة أو يتطلعون لترك ضرما، فمعظم هؤلاء هم من غير أبناء المدينة الذين قدموا إليها مؤقتًا لظروف العمل، فقد ذكر حوالي ١٣٪ من المستجوبين بأنهم تقريبًا متأكدين من تحقق هذه الرغبة (جدول ١٨)، ربما لكون ارتباط هؤلاء بسكنى ضرما وقتيا بسبب الانتقال أو ظروف العمل ومن بين العوامل التي ذكروها كأسباب للرغبة في الهجرة هو عدم وجود الأهل والأقارب وعدم الارتياح في ضرما فيما أشار بعضهم الآخر إلى رغبتهم البحث عن فرص عمل ودخل أفضل أو بسبب عدم توافر بعض الخدمات في ضرما كوجود مستشفى، وفرص تسوق وترويح، أو الرغبة في مواصلة الدراسة (جدول ١٩). وقد اتضح وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نوايا الهجرة وكل من الرضى السكني ومكان ولادة الشخص (الجدولان ٢٠ , ٢١).

جدول ١٩ . أسباب الرغبة في الهجرة من ضرما.

الأسبـــاب	التكـرار
١ ـ عدم وجود الأهل	٩
٢ ـ البحث عن مستوى عمل ومعيشة أفضل / عدم وجود فرص عمل مناسبة	٨
٣ ـ عدم وجود أماكن تسلية وترويح، متنزهات	٧
٤ ـ عدم وجود بعض الخدمات / الدوائر الحكومية	٦
٥ ـ عدم الراحة النفسية	٣
٦ ـ جو غير لطيف / غبار شبه يومي	١
٧ ـ عدم وجود مياه مناسبة للشرب	١
٨ ـ الدراسة	١

جدول ٢٠ . العلاقة بين نوايا الهجرة والرضى السكني .

الرضا السكني	ينوي ٪	لا ينوي ٪	مجموع الإجابات
راض تمامًا	١٤,٢٩	٨٥,٧١	١٠٠ (٤٩)
راض	١٣,٢٥	٨٦,٧٥	١٠٠ (٣٢)
غير راض	١٠٠	—	١٠٠ (٢)
غير راض إطلاقًا	١٠٠	—	١٠٠ (٤)

قيم مربع كاي (Chi-square) = ٢٠,٧٩ مستوى الدلالة = ٠,٠٠١
قيمة كريمر (Cramer's) = ٠,٤٩

جدول ٢١ . العلاقة بين نوايا الهجرة ومكان الولادة .

مكان الولادة	ينوي الهجرة ٪	لا ينوي الهجرة ٪	مجموع الإجابات
ضرما	١٣,٠٤	٨٦,٩٦	(١٠٠) (٢١)
خارج ضرما	٥٣,٥٧	٤٦,٤٣	(١٠٠) (٥٣)

قيم مربع كاي (Chi-square) = ١٧,٠١ مستوى الدلالة = ٠,٠٠١
قيمة كريمر (Cramer's) = ٠,٤٤

أما بالنسبة للمكان المفضل للمستجوبين فنسبة كبيرة منهم (٤٦٪) تفضل العيش في مكان آخر تتوافر به خدمات أفضل مما يتوافر حاليًا في ضرما بينما وجد أن ما نسبته (٣٦٪) يفضلون سكنى مدينة أكبر حجمًا من ضرما (جدول ٢٢)، وهذا الاختلاف في النسب دليل آخر على درجة أهمية الخدمات للسكان وأولويتها على حجم المكان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن أن تعد هذه النسب مؤشرات على أن المفاضلة بين الأماكن ـ في هذه الحالة على الأقل ـ تتأثر بصورة أكبر بما يتوافر بها من خدمات ومرافق أكثر من تأثرها بالتباين في الأحجام بين الأماكن .

جدول ٢٢ . نوع المكان المفضل لعينة الدراسة .

نوع المكان المفضل	نعم ٪	لا ٪	لم يحدد ٪	مجموع الإجابات
ـ يفضل العيش في مكان أكبر من ضرما	٣٥,٦٣	٦٣,٢٢	٢,٢	٨٦
ـ يفضل العيش في مكان به خدمات أفضل من ضرما	٤٥,٩٨	٤٨,٢٨	٥,٧	٨٢

الخاتمة

تم خلال الصفحات السابقة مناقشة وتحليل نوعية أو مستوى الحياة في مدينة ضرما بناءً على إجابات حصل عليها الباحث من عينة من سكان المدينة، ومن مصادر أخرى، والتي تشير نتائجها - عمومًا - إلى تحسن في نوعية الحياة في المدينة خلال السنوات القليلة الماضية. تبين أيضًا أن مدينة ضرما قد نمت مساحة وسكانًا وتعددت وتنوعت النشاطات فيها واختفت حرف وظهرت حرف أخرى جديدة، فعوامل جذبها اليوم تعد أفضل من السابق بسبب موقعها من ناحية وتحسن الوضع السكني والخدمي بها، إضافة إلى تميزها بعناصر جذب أخرى ومنها صغر الحجم السكاني وما يرتبط به من مزايا كالهدوء وسهولة الحركة والتنقل، وقوة أو متانة الروابط الاجتماعية. قوم معظم السكان، عينة الدراسة، الوضع السكني والمعيشي في ضرما بالإيجاب، وتحدثوا بصورة أكثر قبولاً وإيجابية عن تحسن ظروف الإسكان، والذي اتضح بأنه من نواحي معينة يضاهي ما هو موجود في المدن الكبرى، وكذلك أبدى معظم السكان عينة الدراسة رضى عن بعض الخدمات والمرافق في المدينة بسبب توافرها من ناحية وربما لقلة السكان وانخفاض الكثافة وما يترتب عليه من عدم وجود ضغط على هذه الخدمات من ناحية أخرى. أشار بعضهم كذلك إلى الراحة والاطمئنان والأمان الذي يشعرون به في ضرما، والقرب من الطبيعة حيث تنتشر المزارع والحقول الزراعية وهذا ما يفتقده كثير من سكان المدن الكبيرة.

كما تم في هذه الدراسة التعرف على مشاعر الناس وانطباعاتهم عن التغير الحاصل في مدينتهم بما في ذلك الأشياء التي يفضلونها أو يرغبونها، وتلك التي لا يحبذونها أو يفتقدونها بسبب سكناهم في ضرما، فحتى يتحقق الوضع الأمثل أو المطلوب والمرغوب من قبل السكان، لابد من طرح مثل هذه الأسئلة والحصول على أجوبة عليها.

أما بالنسبة لمستقبل المدينة فهناك دلائل ومؤشرات توحي بنمو لسكان المدينة في المستقبل، ومن ثم نتوقع زيادة الضغط والطلب على الخدمات والمرافق التي لابد أن تنمو بنمو السكان. ستحدد - بالطبع - فرص العمل الجديدة معدلات الزيادة السكانية في المستقبل، فقربها من مدينة الرياض من ناحية وكذلك موارد المنطقة الزراعية. من ناحية أخرى تجعلان ضرما مهيأة لأن تصبح مكان سكن مناسب لبعض سكان مدينة الرياض، فالبعض سيكون ارتباطه بضرما فقط كمكان للسكن دون العمل كما هو حاصل الآن ولكن

على نطاق محدود، كما أن المدينة تعد مكانًا مناسبًا لقيام بعض الصناعات الخفيفة خاصة الـزراعية منهـا، ويمكن أيضًا أن يفكر في إقامة سوق أسبوعي لتسويق منتجات المنطقة الزراعية منها خاصة وأن قربها من مدينة الرياض قد يخدمها من هذه الناحية.

ورغم الصورة المشرقة والتي يمكن استنتاجها من هذه الدراسة عن نوعية الحياة في مدينة ضرما إلا أن هذا لايعني أن كل شيء على ما يرام للتمتع بنوعية حياة طيبة هنا، فلا تزال هناك حاجة إلى بذل مزيد من الجهد لإيجاد مزيد من فرص العمل، فمثلاً بعض سكان المدينة يعملون حاليًا في مدينة الرياض ويقومون برحلة العمل بصورة يومية، وكذلك هناك حاجة لبعض المرافق أو الخدمات كتوفير المياه الصالحة للشرب للمساكن بصورة منتظمة وإنشاء مستشفى صغير بسعة ٣٠ سريرًا في الوقت الحاضر، ووجود أطباء متخصصين، وكذلك إيجاد روضة أطفال ومعهد تقني زراعي أو صناعي، ومرافق للترويح فالنادي بحاجة إلى توسيع نطاق أنشـطته، ومن ذلك إيجاد مكتبة ومسبح، وعمل أنشطة ثقافية وترويحية كالرحلات والمعسكرات للشباب. وبما أنه توجد العديد من بساتين النخيل والتي تقلصت مساحاتها كثيرًا بسبب التوسع العمراني وبعض المتنزهات الطبيعية حول المدينة، فهذه تعتبر موارد يمكن تطويرها والاستفادة منها كحدائق عامة لخدمة سكان المدينة وغيرهم. وبالنسبة للمتنزهات الطبيعية هناك حاجة لحمايتها لفترة واستزراع بعض الأشجار والنباتات المناسبة فيهـا، ثم فتحها للسكان خلال فترات زمنية معينة وبالذات أوقات الإجازات، وكذلك الاستفادة من مناطق التلال الصخرية والكثبان الرملية القريبة من المدينة، فإيجاد أماكن للنزهة والترفيه أصبح ضرورة تقتضيها طبيعة الحياة المعاصرة.

كما أن هناك حاجة مثلاً لإنشاء متحف للآثار وآخر للموروثات الشعبية من أدوات وغيرها للمحافظة على ما خلفه لنا السلف، وكذلك ضرورة الاهتمام بالمباني والمواقع ذات الأهمية التاريخية والقيم المعمارية والحضارية بترميمها وصيانتها كالأسوار والبوابات والمساجد والقصور وغيرها والتي تبرز ماضي المدينة وتاريخها العريق وتوضح للأجيال القادمة ظروف الحياة وسبل العيش التي كانت سائدة في الماضي.

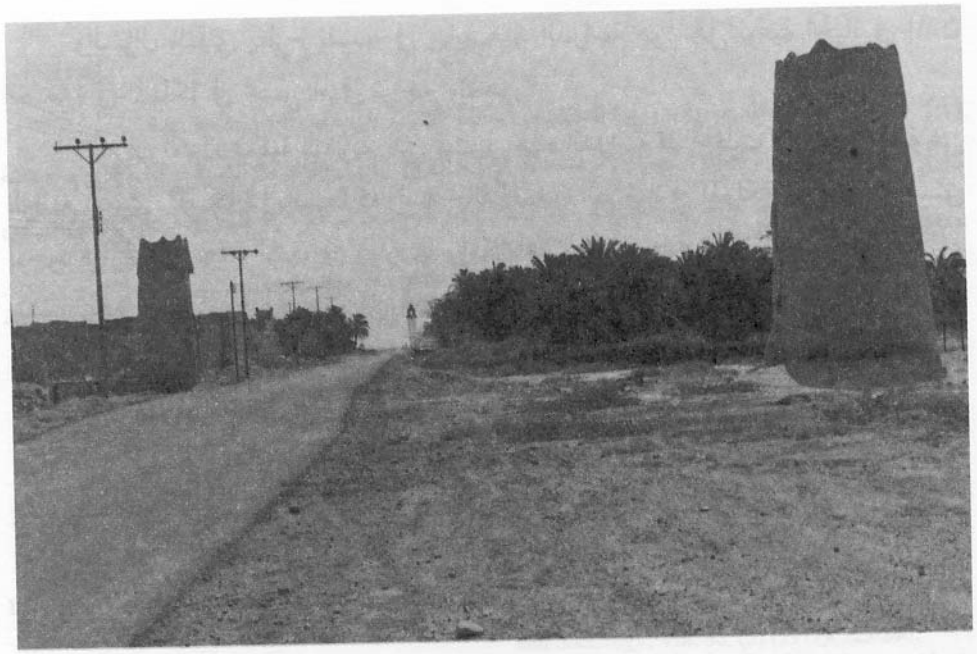

الشكلان ١٦، ١٧ . بعض الأبراج وأحد القصور القديمة.

والسؤال الـذي يطرح نفسـه في نهاية هذه الدراسة هو: هل نوعية الحياة في المدن الصغيرة في المملكة في تحسن أم في تراجع وتدهور؟

آمل أن تكون عملية التقويم التي تمت في هذه الدراسة قد أعطت صورة واضحة عن الوضع المعيشي للسكان في ضرما كدراسة حالة للمدن الصغيرة في المملكة مع إدراكنا المسبق بوجود فوارق بين هذه المدن في مواردها وإمكاناتها وبالتالي في درجة نموها وتطورها(١٦)، وتشير نتائج البحث بصفة عامة إلى تحسن نوعية الحياة في مدينة ضرما بدليل جذبها ونمو سكانها وارتياح معظم من شملتهم عينة الدراسة ورغبة الكثير منهم الاستقرار واستمرار العيش بها عكس ما كان عليه الوضع في الماضي حين هجرتها أعداد كبيرة من سكانها.

على أية حال لا نشك في أن مثل هذا النوع من الدراسات سواءً كانت على مستوى قرى أو مدن أو أقاليم ستوضح لصانعي القرار على المستويات كافة بأن هناك أماكن تتطلب اهتمامًا خاصًا وجهدًا أكبر حتى يتحقق توازن في الرضى العام وفي نوعية الحياة في الأماكن على اختـلاف أحجـامها في المملكة، مما يسهم في إذابة الفوارق في النواحي الاقتصادية والاجتماعية بين السكان وفي إضعاف حركة السكان وتدفقهم المستمر في المستقبل نحو المدن الرئيسية في المملكة وهو هدف تسعى الدولة إلى تحقيقه من خلال خططها التنموية، [٣٠: ص٤٢١-٤٢٢].

وبناءً على ما توصل إليه من استنتاجات تقترح هذه الدراسة أن تولي الجهات المسؤولة في المملكة اهتمامًا بالأماكن الصغيرة من مدن وقرى، وبالتحديد الأماكن القابلة للنمو أو ذات الإمكانات المشجعة على استيعاب عدد أكبر من السكان على المدى البعيد، فوجود قاعدة اقتصادية زراعية أو صناعية أو حتى خدمية تسمح بنمو المكان وتخلق فرص عمل ودخل متزايد للسكان تعد أساسًا ومقومًا لتطويره، ولابد من العمل على حسن استثمار ما يتوافر في هذه الأماكن من موارد بوضع الخطط التنموية المناسبة، وبتوفير الخدمات وفرص العمل لخلق مزيد من عناصر الجذب للسكان في المستقبل.

---

(١٦) في ضوء ذلك فهناك احتمال ألّا تكون نوعية الحياة في ضرما ممثلة لنوعية الحياة في المدن الصغيرة كافة في المملكة لأسباب تتعلق بتميزها عن بعض هذه المدن بخصائص الموقع والموضع المشار إليها أعلاه.

المراجـــع

[١] المملكة العربية السعودية. وزارة التخطيط، *خطة التنمية الرابعة* ١٤٠٠-١٤٠٥هـ.

[٢] العنقـري خالـد محمد. «مواجهة مشكلة الإسكان في الدول النامية (النموذج السعودي).» *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية*. العدد ٢٤، رجب، يناير (١٤١١هـ، ١٩٩٢م)، ص ص١١٩-١٦٤.

[٣] القباني، محمد عبدالعزيز. «نوايا الهجرة والمفاضلات المكانية لطلبة الجامعة السعوديين.» *سلسلة بحوث جغرافية*، الجمعية الجغرافية السعودية، العدد ١٠، (١٤١٢هـ).

[٤] المملكة العربية السعودية. وزارة التخطيط، *خطة التنمية الثالثة* ١٤٠٠-١٤٠٥هـ.

[٥] المملكة العربية السعودية. وزارة الشئون البلدية والقروية «*البلديات*» العدد ١٦، (١٤٠٩هـ).

[٦] Knox, P. and Scarth A. "The Quality of Life in France" *Geography*, no.1 (1976), 9-16.

[٧] Smith, D. *The Geography of Social well-being in the United States*. New York: McGraw - Hill, 1973.

[٨] Liu, Ben - Chin "Economic and Non - Economic Quality of Life." *American Journal of Economics and Sociology*, Vol. 36, (3) (1977), 225-240.

[٩] Liu, Ben - Chin "Variation in Social Quality of Life Indicators in Medium Metropolitan Areas." *American Journal of Economics and Sociology*, Vol. 37, (3) (1978), 241-260.

[١٠] Power T.M. *The Economic Value of the Quality of Life*. Boulder: Westview Press, 1980.

[١١] Glatzer W. and Hans-Micheal Mohr *et. el.* "Quality of Life Concepts and Measurment". *Social Research, Indicators* Vol. 19, (1) (1987), 15-25.

[١٢] Coates, B., R. Johnston; Paul Knox et. al. *Geography and Inequality*. Oxford: University Press, 1977.

[١٣] Knox, P. "Spatial Variation in Level of Living in England and Wales." *Transaction*, Institute of British Geographers 62 (1) (1974), 1-24.

[١٤] Park, Siyoung. "Quality of Life in Illinois Counties", *Growth and Change*, vol. 16., (4) (1985), 56-69.

[١٥] Bederman, Sanford. "The Stratification of Quality of Life in the Black Community of Atlanta, Georgia." *Southeastern Geographer*, Vol. XIV, (1), 26-37 (1978.)

[١٦] Liu, B.C. *Quality of Life Indicators in U.S. Metropolitan Areas. New York*: Praeger Publishers. 1976.

[١٧] Miles, I. John Irvine, Monica wemegah and Dag Polessynask; *The Poverty of Progress: Changing Ways of Life in Industrial Societies*. Oxford: Pergamon Press, 1982.

[١٨] القباني، محمد عبدالعزيز. *هذه بلادنا: ضرما*. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الإدارة العامة للشئون الثقافية (١٤١٣هـ).

[١٩] منظمة المدن العربية، المعهد العربي لإنماء المدن. *الهجرة من الريف إلى المدن في الوطن العربي*، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

[٢٠] المملكة العربية السعودية. وزارة المالية والاقتصاد الوطني. «حصر السكان والمؤسسات.» *مصلحة الإحصاءات العامة* (١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م).

[٢١] المملكة العربية السعودية. وزارة الشئون البلدية والقروية «*ضرما: الوضع الراهن*» (١٣٩٨هـ).

[٢٢] المملكة العربية السعودية. وزارة الشئون البلدية والقروية: *أطلس المدن السعودية*. (١٤٠٩هـ).

[٢٣] الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث، ١٤١٠هـ.

[٢٤] بلدية ضرما، القسم الصحي: *إحصاء المؤسسات والمحلات التجارية بضرما*، ١٣٩٥ - ١٤١٢هـ.

[٢٥] المملكة العربية السعودية، وزارة الإسكان والأشغال العامة. «*المسح الإسكاني بالعينة للمملكة*» وكالة الوزارة لشئون الإسكان المجلد ١، (١٤١١هـ).

[٢٦] المملكة العربية السعودية. الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. «*دراسة السكان والاقتصاد والنقل واستعمالات الأراضي في مدينة الرياض*، الملخص التنفيذي» (١٤٠٨هـ).

[٢٧] مركز الرعاية الأولية بضرما، *نتائج المسح الصحي*، ١٤١٢هـ.

[٢٨] *Kornacki, j.* "Toward A Framework for Analysis in Small Town Reasearch.", *Ph.D. Dissertaton. Lansing*, Michigan State University, (1986).

[٢٩] Zimmerman C. *The Changing Community*, New York: Harper and Row 1938.

[٣٠] المملكة العربية السعودية. وزارة التخطيط، *خطة التنمية الخامسة*، (١٤١٠-١٤١٥هـ).

[٣١] آل الشيخ، محمد؛ بنابس، سموبيولوس؛ بنيامين، كننجهام؛ وبيتر، كاناس. «تكوين ووظيفة وتوزيع المستوطنات البشرية بالمملكة العربية السعودية، في الماضي والحاضر والمستقبل.» *بحث قدم في ندوة المدن السعودية*، قسم الجغرافيا، جامعة الملك سعود، الرياض، جمادى الثانية، مارس (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).

[٣٢] العنقري، خالد محمد. «أبعاد التنمية العمرانية الشاملة في المملكة العربية السعودية.» *مجلة العلوم الاجتماعية*، جامعة الكويت، المجلد ١٧، (٣) (١٩٨٩م).

[٣٣] Al-Ankary, K. and El-Bushra S. (eds.), *Urban and Rural Profiles in Saudi Arabia*. Berlin. Stuttgart: Gebruder Brontraeger, 1989.

[٣٤] Al - Soliman, T.M. "The Characteristics of Planned Communities and their Impact on Urban Development and Residential Perceptions". In: Al - Ankary, K. and S. El-Bushra (eds.), *Urban and Rural profiles in Saudi Arabia,* Berlin. Stuttgart. Gebruder Brontraeger, 1989.

[٣٥] Bel-Haj, Ramadan. "Factors Related to Migration Plans among High School Students, in a Rural Area of Libya." *Unpublished Ph.D. Dissertation*, Michigan State University, (1982).

[٣٦] Campell, A. "Measuring the Quality of Life." *Michigan Business Review*. 261, (Jan 1974).

[٣٧] Environment Protection Agency. *The Quality of Life Concept,* Washington D.C.: U.S. Government Printing Office, 1973.

[٣٨] United Nations Department of Economic and Social Affairs. *Indicators of the Quality of Urban Development*, New York, 1977.

[٣٩] Wilkening and David McGranahan. "Correlates of Subjective well-Being In Northern Wisconsin." *Social Indicators Research.*, 5, (1978), 211-234.

[٤٠] Wolfgang G., and H. Mohr. "Quality of Life: Concept and Measurment." *Social Research Indicators*. Vol. 19 (1) (1978), 15-25.

Quality of Life in Small Towns: The Case of Dhruma in the Central Region of Saudi Arabia

Mohammed Abd-Elaziz Al-Gabbani

Assistant Professor, Department of Geography, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 9/10/1412; Accepted for publication 23/12/1412)

Abstract. The main objective of this study is to evaluate quality of life and living conditions in the small town of Dhruma, the central region of Saudi Arabia. To achieve study objectives, objective and subjective variables were used in the analysis. It includes variables such as: income, education, job, and housing characteristics, availability of public services and facilites; residential satisfaction, preferences and migration intentions variables. Research data depends mainly on a clustered random sample of 87 households. Study results indicate a general improvement in the quality of life in the town during the past few years and the existence of an overall feeling of residential satisfaction among the sampled population. This improvement will support the town future growth and development. Studies of this type are considered to be an important mean for public officials and planners as it provides a clear picture of the existing living conditioins of the population of a place, and in projecting and planning their future needs.